حلمي مهران

HELMY MAHRAN

القضية الخامسة

التجربة



أحمد عثمان

#بس_المهم_تفهمني



القضية الخامسة

التجربة 8

أحمد عثمان



الكتـــــــاب: حلمي مهران: التجربة ٨
اسم المـــؤلف: أحمد عثمان
الغلاف والرسم: مارك إبراهيم
التدقيق اللغوي: محمد فهمي- محمد مجدي الأبار
الطبعـــــــة: فبراير 2023
رقـم الإيـــــداع: 2023 / 1899
الترقيم الدولي: 2 - 585 - 779 - 977 - 978
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com

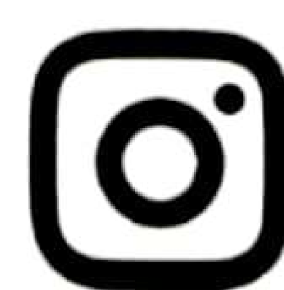
المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com

==============

للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com


dar__ibda3


ibda3-tp


dar__ibda3

الإهداء

إلى كل صاحب مشروع وتجربة



من أضغاث أحلام في عالم موازٍ داخل خياله المريض تظل تلك الومضات تتنقل بنا بين أرجاء عوالم كثيرة، يجمعهم صوت دقات قلوب مضطربة صادرة عن أجهزة قياس النبض داخل طرقات مستشفى ما، حيث كان الدكتور «صلاح» يقوم بعملية جراحية لهذا القبطان الخمسيني «حاتم» الذي يظن أن هذا الحلم حلمه حيث لا يزال صوت البحر يُلازم أذنه من داخل لا وعي تخترقه سيارة رياضية حمراء فارهة تشق الرياح من أمام طفل صغير يقود دراجته على الطريق قبل أن يصل إلى أذنيه صوت مكابح السيارة ليتوقف صوت نبض «حاتم» المستلقي بين يدي الرحمن من أمام الدكتور «صلاح» الذي بدأ صعقه بجهاز الكهرباء ليمتزج صوت الصعقات مع تلك الأعيرة النارية القادمة من صحراء بعيدة ليسقط ثلاثة من الأبرياء المقيدين داخل هذا المعسكر النجس من أمام هذا العشريني الملتحي «سيف» الذي لا تزال يده ترتعش تلطخها الدماء، التي تشبه الدماء التي تتساقط الآن من وريد «جميلة» بعد محاولتها الانتحار، تظن الرؤيا رؤيتها بينما يسرع طاقم الممرضين بجرها بين ردهات المستشفى ليعاود صوت النبض في الظهور، يرتفع شيئًا فشيئًا متماشيًا مع تداخلات ألحان موسيقية عازفة بأشجان الأسى لآلام المرضى وآهاتهم، التي تتراقص عليها الرياضية «فرح» من داخل صالة النادي، قبل أن تقوم بتلك الحركة الطائشة، حالما ظهرت أختها «مي» مذعورة تصرخ قبل أن تسقط «فرح» على قدمها متألمة من الإصابة وجسمها المرن يرتعش جراء الارتطام الشنيع، لترقد هي الآن في جبيرتها داخل طوارئ المستشفى وما فتئت ترتعش

من ساعتها لا تفهم حلم من هذا!

بينما من جانبها كانت «منال» لا يزال قلبها المريض ينبض وإن كان في حاجة للتغيير، ليتوقف «عاصي» ابنها العشريني من جانبها نادمًا بينما لا تزال يده ترتعش في حاجة لمخدرها، قبل أن يقع أرضًا محدثًا صوت ارتطام، ليظل يرمق ذلك البالون الطائر الذي يمسكه طفل وحيد حليق الرأس تلاشى الآن من أمام «سميحة» الثلاثينية التي لا تزال تركض داخل ردهات المستشفى، ليرمقها «حبيب» الأربعيني الوسيم قبل أن يعلو صراخ زوجته من داخل غرفة العمليات مغشيًّا عليها وهي مستلقية بوضع الولادة، مرتدية ملابس المرضى الزرقاء، بينما يتصاعد صوت دقات قلبها هي الأخرى ولا يزال الأمل ينبعث من بين حنايا الألم، ليصاحب صوت دقات القلب صوت خطى الدكتور الخمسيني النحيف الأسمر «ماهر» من داخل العناية المركزة حتى وصل إلى «حبيب» الذي يميزه خضار عينيه الدامعة الآن وهو يسمع كلمات الدكتور «ماهر» الذي جاء بتقرير الزوجة قائلًا:

- أنا آسف.. الوضع بيسوء!

يخلع «ماهر» نظارته الطبية ليكمل:

- وأنا كجراح محتاجك تاخد القرار بسرعه.

تدور عينا «حبيب» بأرجاء غرفة العمليات، يبدو فيهما لون الخوف والوجل وهو يلمح زوجته في الداخل التي لا تزال تصارع الموت والممرضون يضعون جهاز السونار على بطنها

المنفوخ لتظهر صورة طفلة على الشاشة، ليتساءل «حبيب» بصوت حزين كسيف البال:

- يعني مفيش فرصه للجنين خالص؟!

يظهر التعاطف الكاذب على دكتور «ماهر» الذي يشرح العلمية:

- الفرصه كبيره، بس زي ما قلت لحضرتك على حساب الأم.

يظل «حبيب» مترددًا، ثم يردف:

- إشمعنى أنا اللي آخد القرار ده؟!

- حضرتك الأب، والقرار قرارك طالما الأم فاقدة الوعي.

يتحرك «حبيب» ناحية باب العمليات:

- وأنا مايهمنيش غير مراتي يا دكتور.

يقولها «حبيب» ليرتدي «ماهر» نظارته، معلقًا:

- طيب أحب أفكرك إن دي هاتبقى آخر فرصة للمدام...!!

يقاطعه «حبيب» من فوره بقوة زائفة:

- أنا عايز مراتي يا دكتور.

يتفهم الدكتور «ماهر» مقدمًا التقرير إلى «حبيب» ليوقعه، ليتلكَّأ الأخير للحظة، فيعطيه «ماهر» القلم دافعًا إياه بلطف في ذراعه يستعجله التوقيع..!!

فيوقِّع «حبيب» بيد مرتجفة تظهر ضعفه الحقيقي، قبل أن يخطف الدكتور «ماهر» على عجلٍ التقرير ليتراجع إلى الوراء ناحية الباب المؤدي إلى العمليات ليدخل ويغلق الباب من خلفه، مع تصاعد صوت دقات القلب المتزايدة، ليفتح «حبيب» الآن عينه للتو من داخل عيادة الدكتورة النفسية «هدى» الصهباء ليلاحظ أنه لا يزال داخل حلم ما، ولكنه لا يزال يبدو حلم شخص آخر ليقول:

- أنا حاسس إني لسه بحلم يا دكتوره، بس ده مش حلمي أنا.

- أومال حلم مين يا «حبيب»؟

- معرفش ومش عايز أعرف، أنا خلاص عايز أنسى كل اللي حصل.

تبتسم «هدى» موضحة:

- بس اسمحلي أفهمك، أنا مش هاخليك تنسى، بالعكس أنا هاخليك تعرف الحقيقه وتواجه كل مخاوفك.

- مش مهم.. المهم أعرف أعيش.

- اطمن يا «حبيب»، العلاج الجماعي ده هايغيرك خالص.

يهز «حبيب» رأسه موافقًا ثم يستعد ليغادر قبل أن يلتفت إليها من عند باب العيادة مبتسمًا ثم ينصرف، فتبتسم «هدى» هي الأخرى وتعدِّل من جلستها طلبًا للراحة، وهي تدون الاسم الأخير في المجموعة.

أجل إنه هو التقرير الذي تمسك به «هدى» وقد كتبت فيه

اسم «حبيب» في الخانة السابعة، بعد «سيف» و«سميحة» و«عاصي» و«فرح» و«جميلة» و«حاتم»!! قبل أن تغلق الملف الذي يحمل عنوان التجربة 8.....

هذا بينما كان هناك شخص ما خلف شاشة مراقبة، يراقب ما يحدث في عيادتها للتو من بين مجموعة شاشات كثيرة متراصة، تكشف أبعاد تلك الجزيرة الغامضة، إنه بالطبع «المراقب»!!

تنهي «هدى» تقريرها وتتحرك ناحية باب خلفي لها، والقلب ما انفك يضرب، صوته كالماهر والنجم الثاقب، دقات تحاكي الدقائق والثواني لتدخل معملها الخلفي والذي بات غرفة طبية للتجارب، لتقوم بتركيب دواء ما، بينما من خلفها الحيوانات حبيسة الأقفاص، بعضها على بعض، تتقافز وتتناقز حيرى عقرى سكرى حلقى، بلغاتها تحوقل وتهلل لرب السماء قد ضاقت ذرعًا، وازوَّرت عيناها شاخصة أبصارها وكأنه يوم الحساب إلى ذلك الحيوان البغيض إلى قلوبهم؛ ألِأجل أنه ألقى عليه المعطف الأبيض وجعل من نفسه راهبًا في هذا المعمل ممسكًا بهذه الأدوات الشاذة والأدوية النشاز سمح لنفسه أن يعبث بأجسادهم من أقصاها إلى أدناها ومن مدخلها إلى مخرجها؟!

بينما هي تستمتع بهذا المنظر المُحبب إليها، منظر ذلك الدواء المُريب وهو يتحرك أسفل عدسة طبية مكبرة، أجل إنها الكيمياء، حيوية كانت أم عضوية، تفعل في الأجساد فعل السحرة المشعوذين، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها

عاملون!! لتضع «هدى» أخيرًا سائل الدواء داخل أمبول زجاجي جديد شفاف تُمَرِّره فتراقبه، تكتب على الأمبول «التجربة 8»، ثم تفتح حقيبة يد معدنية عبارة عن ثلاجة صغيرة، لتضع الأمبول بجانب سبعة أخرى، ليبدأ صوت القلب بالانخفاض تكاد تخبو جذوته، وينطفئ اتقاده!! ليستيقظ الحالم للتو من حلمه، إنه بالطبع «حلمي مهران» الذي تطلع خيال عقله المريض على أضغاث تلك الأحلام الكابوسية، ليظل مفزوعًا يحاول تذكر من زاروه للتو، ولكنه كان يجهل أغلبهم إلا تلك الدكتورة «هدى» الصهباء التي زار عيادتها في القضية الماضية، ليعلم أنه لا مفر من تلك القضية الجديدة التي سترمي به إلى تلك الجزيرة المخيفة التي حاول الهروب منها طوال الأسابيع الماضية، ولكنها كانت قدره، قدرًا لا مفر منه، فلم يكن «حلمي مهران» أبدًا مخيرًا بل مسيرًا، ومن أجل ذلك رُدت إليه الحياة.

***

(01)

من داخل غرفة عيادة الدكتورة «هدى» كان القبطان الخمسيني «حاتم» يكمل تخوفاته من تجربة الدكتورة «هدى» التي لم تفصح عن نواياها الحقيقية بعد:

- وهو حضرتك جربتي الموضوع ده قبل كده؟

كانت «هدى» طبيبة نفسية ذكية، تختار كل من يصعب تعقبه من مستوحدين، فقد كان هذا مصدر رزقها الذي يجهل حقيقته الجميع، خلف ساتر عملها الناجح، وجمال وجهها، فقد كانت صهباء بملامح أجنبية نظرًا لأنها من أم كندية:

- طبعًا، مش عارفه انت ليه رجعت تخاف، ما كنا متفقين! وصدقني، كل اللي جرب العلاج الجماعي هناك فرق معاه كتير.

يبدو مترددًا، لتحفزه بخبث:

- أنا مش فاهمه إنت متردد ليه! اسمحلي، إنت حاولت الانتحار أكتر من مره، فيها إيه لما تجرب حاجه ممكن تديك أمل؟ إيه اللي مخوفك؟!

- معرفش، يمكن خايف أتعالج!

قالها في تردد وكأنه يخفي شيئًا، فقد كان يمتلك ملامح حادة ومخيفة بعض الشيء، زادت من حدتها لحيته الكثة، حال شعره المموج، وبالطبع قدمه المبتورة التي استبدلها بطرف صناعي، لتظل «هدى» ترمقه في محاولة لمعرفة سبب تردده

الحقيقي قبل أن يخترق خلوتهما «حلمي مهران» الذي فتح باب الغرفة للتو مندفعًا، لتتفاجأ «هدى» من الداخل، بينما من خلفه يظهر مساعدها «أشرف» في استياء يقول:

- يا أستاذ «حلمي» مايصحش كده.

- أنا موافق.

جهر بها «حلمي مهران»، لتلاقي موافقته -نوعًا ما- استحسان الدكتورة «هدى» التي تبتسم عيناها من خلف نظارتها الطبية لتتوجه إلى «أشرف» قائلة:

- مفيش مشكله يا «أشرف»، معلش يا كابتن «حاتم» تسمحلي آخد الحالة الطارئة دي؟

يرمق «حاتم» «حلمي مهران» ثم يقف ليعتكز على عكازه ويغادر، بينما يهرب «حلمي مهران» من نظراته منتظرًا مغادرته ليجلس.

- اتفضل يا أستاذ «حلمي» بس تسمحلي أسأل عن سبب التغيير المفاجئ ده!

يتنهد «حلمي مهران» ليقول في تلاعب:

- شوفتك في الحلم.

تبتسم «هدى» وتجيب بثقة:

- دي تبقى رؤيا بقى..

قالتها جاهلة رؤى «حلمي مهران» التي لا يتمنى أي كان أن

يكون ضيفها.

- عمومًا اطمن يا «حلمي»، العلاج الجماعي ده هايغيرك خالص، وزي ما شرحتلك المكان اللي هانروحه بعيد عن كل توتر حياتنا. مفيهوش حتى أي وجود للتكنولوجيا، يعني تقدر تعتبر نفسك في أجازه.

يبتسم «حلمي مهران» معلقًا:

- وأنا حقيقي محتاج الأجازه دي.

- بس أحب أفكرك، إن المجموعة اللي أنا مختارها حساسة جدًا، وعشان خصوصيتهم مش لازم أي حد يعرف إحنا هانكون فين، ولا مع مين.

- أنا مليش حد يا دكتورة وانتي عارفة، وبعدين أنا معرفش أصلًا إحنا هانكون فين، ولا مع مين..

بحرفية قالها «حلمي مهران» ليطمئنها فتبتسم هي قائلة:

- يبقى اتفقنا، تقدر تتفضل دلوقتي وأنا هاخلي «أشرف» يشرحلك تفاصيل الرحلة كلها، والطريقه اللي هاتوصل بيها بأمان لمكان العلاج، بعيييييد عن الدنيا كلها.

يحرك «حلمي مهران» رأسه مبديًا الموافقة ومن ثَمَّ يقوم ليغادر قبل أن يلتف إليها من عند باب العيادة مبتسمًا ثم ينصرف، لتبتسم «هدى» هي الأخرى وتعتدل جلستها في راحة، إذ كانت تدوِّن الاسم الأخير بالمجموعة، إنه اسم «حلمي مهران» بالطبع ولكن بالصيغة التي تعلمها «حلمي عبد

المهيمن» إذ كانت لا تزال تجهل حقيقته، ليستقر اسمه في الخانة الثامنة، بعد «حبيب» و«سيف» و«سميحة» و«عاصي» و«فرح» و«جميلة» و«حاتم»..

قبل أن تطوي الملف الذي يحمل عنوان التجربة 8..... ليدخل عليها الممرض «أشرف» مستفهمًا:

- زبون جديد؟

تومئ هي برأسها قائلة:

- كده التمانيه جهزوا.

- وده فين ملفه؟

تجيبه بسعادة لا تحبسها:

- ملوش ورق كتير، مجرد فاشل مقطوع من شجره وعقدته كانت أبوه، ماتخافش أنا هاعمل اللازم، المهم انت تجهز شغلك.

- «أشرف» دايمًا.

قالها «أشرف» ليحضر نفسه حال ثمانيتهم، كل منهم يقوم بما أمرتهم به، فها هو «حلمي مهران» من غرفته والنهار بأوله يحضر حقيبة سفر صغيرة من أمام «حجاب» الساعي الذي يبتسم إليه متفهمًا النداء، قبل أن يغادر إلى الخارج ممسكًا بحقيبته ليجد «ماجي» متوقفة.

- برضه مش ناوي تقولي رايح على فين؟



- ماتبقاش أجازه يا «ماجي»، ماتخافيش مش هاتأخر.

- طب أوصلك حتى.

- خليني على راحتي.

- وانت راحتك فين بس يا «حلمي»؟!

كان سؤالها بلاغيًا ليبتسم «حلمي مهران» معقبًا بنفس المعنى الباطني:

- مكان ما النداهه تندهني.

يقولها فتتصاعد أصوات الطبول في أذنه تلك الألحان التي يعلمها «حلمي مهران» لتبدأ رؤياه في حلم جديد من أمامه حاملة له ملفاتهم، فلقد كانوا سبعة وكان هو ثامنهم، في عرض سريع، تلك الملفات الورقية المتراصة على منضدة خشبية قديمة بجانب صندوق من الكرتون به أجندة حمراء ظلت تغازل خيال «حلمي مهران» الذي شاهدها للتو داخل هذا الكوخ الخشبي، الكائن أمام ممر ساحلي مصفوف بجانبه يخت على الشاطئ.

من داخل اليخت في هذا النهار المشرق كان «أشرف» هناك يبدأ في تدويره، لتتوقف الموسيقى ذاتها التي عزفت في أذني «حلمي مهران» آنفًا، ليجد نفسه لا يزال خارج مكتبه يسمع نباح كلبه مندهشًا، ليقترب منه لحظات قبل أن يسمع صوت الدكتورة «هدى» في ذهنه.

«المرا دي هي الأخيره، بعدها مش هاتحتاجوا العلاج ولا

حتى الأدويه، المهم تسمعوا التعليمات كويس»

يبتسم «حلمي مهران» فيترك كلبه، ويغادر مترجِّلًا في الشارع، ليلحق بسبعتهم الذي كان هو ثامنهم، فها هو «حبيب» الوسيم صاحب العين الزرقاء والشعر البني الناعم يحلق ذقنه في حمام منزله، يبرز في أذنه صوت «هدى» متزامنًا مع صوت صنبور المياه المتدفق في البانيو المهجور من خلفه تنسكب جارية مياهه، ليظل يراقب المشهد في انعكاس المرآة من أمامه حيث كانت زوجته المقتولة بداخل هذا البانيو وقد غمرها الماء تمامًا، منبعثة له كما الأشباح من عالم الأرواح، تظهر له انعكاس صورته في المرآة التي يقف أمامها «حبيب» ليعلو صوت «هدى» يُسمعُ له بالأرجاء صدًى:

«كل واحد منكوا ليه حكايه لازم تسيبوا قصصكم ورا ضهركم»

يستدير «حبيب» خائفًا ليجد البانيو خاليًا، فيصيبه الذعر، مقررًا ترك الحمام مغادرًا إلى غرفته حيث حقيبته على السرير، فيغلقها تأهبًا للخروج.. حال «سميحة» التي غادرت غرفتها للتو إلى الردهة آخذةً بحقيبة يدها لتلقي نظرة إلى غرفة طفلها تتأملها، خاصة تلك الصورة الموضوعة له على الحائط معها، ويتردد على مسامعها صوت «هدى» حين قالت:

«مهما كانت قصتك صعبه، هاتلاقي حكايه أصعب منها»

بِقَسَمَاتِه تتخالط تعبيرات الوجل والوُجُوم على وجه «سميحة» الذي بدا متحيرًا من داخل الغرفة، وحالما كانت

تنصرف مغادرة، عاودها صوت «هدى»:

«دورنا مانصدرش أحكام على بعض»

من أسفل العقار يظهر القبطان «حاتم» وهو يعرج ممسكًا حقيبته بصعوبة، ليضع على رأسه قبعة ستلازمه، قبل أن يخطف ببصره نظرة عابرة لسيارة حمراء مصفوفة وبها أثر حادث، فيشرد لحظة قبل أن يتردد على مسامعه صوت «هدى»:

«لإن إحنا مش مرضى نفسيين»

قاطع صوتها صوت دراجة يقودها أحد المارة وهو يضغط على جرسها، لينتزعه «حاتم» من مقودها منزعجًا ومن ثَمَّ يشير إلى تاكسي..

«إحنا ببساطه بني آدمين»

يصل التاكسي بـ «عاصي» العشريني إلى موقف أتوبيس، ليخرج محفظته ليحاسب السائق الذي رمق وشم يده باستحقار، فقد كان «عاصي» موشمًا بصورة امرأة عارية تجسد كامل يده اليسرى، ليترجل «عاصي» من التاكسي متلازمًا مع صوت «هدى» التي غدت ملازمة له:

«يمكن بس مرينا بظروف مختلفه عن غيرنا»

يغلق «عاصي» باب التاكسي مصدرًا صوت ارتطام، ذَكّره بصوت ارتطام رأس أمه الستينية «منال» لينزعج ويتململ، قبل أن يخرج سيجارة مخدرة ليدخنها، فيسمعها تقول وهو

يدخل الأتوبيس:

«ظروف صعب ننساها في مكانًا»

من داخل الأتوبيس كان «سيف» هذا الثلاثيني البسيط ذو اللحية البنية الناعمة يقرأ من مصحفه في شرود، قبل أن يقطع روحانياته صوت «هدى» هو الآخر:

«عشان كده هانبعد عن القاهرة خالص هنرجع للهدوء»

من خارج الأتوبيس والشمس ساقطة للغروب تظهر قدم «فرح» التي برزت من الأتوبيس للتو في حركة استعراضية تتناسب مع عصريتها، فهي عشرينية ثائرة، شعرها قصير كالذكور، تضع حلقًا في أنفها، بينما تضع سماعة أذن موسيقاها المفضلة -كالعادة- التي ستلازمها، من جهاز شبيه بالآي بود.

«من غير تليفونات خالص عشان تنسوا كل وجع اتوجعتوه»

تسمعها «فرح» وهي تمسك بميدالية رياضية موضوعة في سلسلة على رقبتها وهي تتحرك إلى الميناء، التي سبقتها إليها «جميلة» تلك الأربعينية المثيرة شقراء الشعر، التي ترتدي من الملابس أقصرها، وإن كانت نظراتها مخيفة، فكلما رمقها رجل استفزته بجمالها، كسرت عينه بقوتها المخيفة وهي تتحرك بحرص في هذا الميناء الذي يعج بالحيوية، والشمس في غروبها قد أذنت للشفق أن يمزج الماء بلون دمائه، وبَيْنَا كانت تنظر خلفها كل حين حتى وصلت إلى هذا اليخت حين جاءها صوت «هدى» مجددًا:

«هاتمشوا على التعليمات بالظبط، عشان توصلوا بالسلامه»

من على متن اليخت هذا كان «أشرف» مبتسمًا إلى «جميلة» حال غيره، مادًّا يده إليها لترفض بوضوح أرهبه ليعود خطوة إلى الوراء، وتدخل هي بنفسها لتلقي نظرة إلى البقية الذين كانوا قد وصلوا بالفعل وعلى رأسهم بالطبع «حلمي مهران» يراقبهم جميعًا..

«أشرف» هايساعدكوا كلكوا.

يبتسم «أشرف» اطمئنانًا ممزوجًا بثقةٍ وهو يدير اليخت، منصتًا إلى حديث «هدى» المخترق مسامعهم جميعًا وهي تتابع حديثها:

«هاتيجوا سوا من النقطه اللي هاحددهالكوا، وطبعًا مفيش حد هايبقى عارف انتوا رايحين فين!».

وإذ كانت الشمس ترتحل للمغيب والبحر متهيئٌ ليبتلعها ساحبًا إياها من زوبعة الشفق التي أثارتها في أقصى الأفق على متن هذا المركب الذي يقوده «أشرف»، ومعه السبعة الآخرون قد تجمعوا فوق ظهره جميعهم أيضًا، فبدا «حلمي مهران» مستمتعًا بنسيم الهواء، وبينما انهمك كل منهم في تصوير المشهد البديع آخذين في جمع لقطات غاية في الروعة لكل منهم، مأخوذين بسحر لحظات الغروب هذه، تواصل «هدى» حديثها حتى بلغ المركب مبلغه، فكان- ليلًا- في وجهته المحددة له بالضبط.

«تلات أيام، هانفضل فيها سوا، إحنا وبس، على جزيره من أحلى جزر مصر، مفيش حد جيه فيها، إلا واتعالج»

وصل جميعهم إلى تلك الجزيرة المعزولة عن العالم، ليترجل كل منهم من اليخت حاملين حقائبهم، لتحييهم الدكتورة «هدى» التي كانت في انتظارهم حسب خطتها، ليبدأ للتو الجنون من على متن تلك الجزيرة الغامضة، التي كان فيها هذا الكامب البدائي يضيء بإنارة كهربائية خافتة من مولد ضعيف لا ينجح في شق بدن عتمة الليل ولا أن يملأ عبابه بالضياء، فأقصى محاولاته هو شعاع، كخيط نحيل يسيل على أرداف هذا الليل البهيم الضخم، لتجمعهم «هدى» من حول تلك النار الموقدة بالحطب يستضيئون بها، ولعلهم يصطلون برهة من الزمن نالوا فيها قدرًا من الدفء! عقبها تقف هي على رؤوسهم بالشاطئ، وسط ثمانيتهم جالسين، قد تحلقوا حولها في شكل دائري دون أمتعتهم، ليفاجأوا أنه قد مر وقت على تجمعهم لتقول:

- أحب أحيي جرأتكوا اللي وصلتكوا هنا، حقيقي إنتوا مختلفين عن كل الناس.. بس قبل ما نناقش اختلافكوا ده، أحب أشرحلكوا قوانين الجزيره...

كأطفال مشاغبين تتعاقب على وجوه معظمهم تعبيرات عديدة من حيرة واستياء إلى سخرية واستهزاء يتهكم القبطان «حاتم»، في حين يعلق «سيف»:

- قوانين!!!



فترد «هدى»:

- القوانين اللي اتفقنا عليها، قبل ما تيجوا هنا.

«عاصي» متنصلًا:

- أنا ماتفقتش على حاجه.

- لأ اتفقنا، وعمومًا القوانين دي لمصلحتكوا وسلامتكوا.

تقولها الدكتورة «هدى» بينما ظل «حلمي مهران» يرمق شاطئ الجزيرة مندهشًا، فقد عادت إليه نفس الرؤيا التي شاهدها القضية السابقة، على نفس الشاطئ؛ حيث وجد القوارب الثلاثة هنالك جاثمة فوق ظهر البحر تمخر عُبابه، إذ كانت «وعد» على أولها، ثم «ماجي» على الثاني، وأخيرًا «حنان» على الثالث، ليتوتر ويقف فجأة:

- في حاجه يا «حلمي»؟!

تسأله «هدى»، فيعود بنظره إلى الشاطئ ليجد المراكب قد اختفت، فيجلس دون أن يتفوه بكلمة، ليتساءل «حبيب» وَجِلًا:

- هو في حد جيه الجزيره دي قبلنا؟!

- طبعًا، عشان كده عايزاكوا تفهموا كلامي كويس أوي.

- إحنا هانفضل هنا تلات أيام وهايجلنا «أشرف» ياخدنا في اليوم الرابع، هانتعزل هنا عن العالم، ومفيش معانا غير تليفون وحيد للطوارئ.

تقولها «هدى» وهي تشير إلى هاتف قديم الطراز وضعته



داخل حقيبة يد بجانبها، بينما تتدخل «جميلة» كمراهقة تتعلم التمرد:

- ده سجن بقى؟!

- بالعكس، إنتوا هنا أحرار، بس لازم تحترموا حقوق بعض، الأكل والشرب اللي معانا على قدنا، عشان نتعلم نشارك بعض، والكهرباء كمان بحساب، يا دوب المولد يشغل إضاءة قليله لمدة ساعتين تلاته بس بليل.

تقولها قبل أن ترتعش الإضاءة بالفعل؛ ما أضفى صبغة رعب على سواد ليست بأقل سوءًا من وشاح هذا الليل المخيف الذي كشف لهم عن سوأته!!

ثم وبلا سابق إنذار جعل صوت المولد يتهادى شيئًا فشيئًا، حتى ارتخى تمامًا وعجز عن العمل!! ليعم الظلام على ثمانيتهم إلا من ضوء النيران، وقد أصابها السأم هي الأخرى فجنحت إلى أن تخبو أو حتى تخلد إلى النوم في فراش هذا الليل الآثم!! ليكُفَّ الجميع عن السخرية، ليلاحظ «حاتم» لتوه من وسط سكوتهم عبور هذا الطفل الضاحك بدراجته الصغيرة، مصدرًا صوتًا منبهًا؛ ليتعرق «حاتم» من صوت جرس تلك الدراجة البغيضة إلى قلبه، ليلاحظ «حلمي مهران» الأمر أيضًا!!

فتدرك الدكتورة «هدى» ردة فعله مبتسمة، بينما ينعكس ما تبقى من وميض النيران على وجهها، وشعاع نحيل منعكس في لمعان عينها ليبدأ اللهو مجددًا..

بينما كان من على بعد عدة أميال «أشرف» وقد وصل باليخت هذا اللسان الخشبي الخاص، فجعل يصفه بحرفية شديدة، بجانب دراجة مائية صغيرة يمتلكها واضعًا الحبال على المرسى الخاص، ثم نزل من اليخت وتحرك متجهًا إلى هذا المنزل، الكوخ الصغير الذي سينتظر فيه الإشارة من رئيسته «هدى» التي كانت لا تزال متربعة الوركين والرجلين وهي تقلب حساءً موضوعًا وسط العديد من أنواع الطعام المعد مسبقًا للعشاء، في تلك المنطقة الخارجية التي خصصتها للطبخ وتقديم الطعام، كتلك البوفيهات المفتوحة في الفنادق الفاخرة، بينما كانت تساعدها «سميحة» و«جميلة» اللتان تتذمران في ضيق.

- هو إحنا هنا جايين نخدم الرجاله؟!

قالتها «جميلة» لتعلق «هدى»، حين سمعتها:

- إحنا هنا عشان نخدم بعض يا «جميلة».

لم تقتنع «جميلة» فأردفت «هدى»:

- ممكن بكره تجربي طبيخ الرجاله لو تحبي.

بُهِتَتْ مما سمعته، فلم تُبْدِ منطقًا ولم تَنْبِسْ ببنت شفة..!!

بينما كان أغلب الرجال داخل خيمتهم هاهم أولاء أربعتهم: «حبيب» و«سيف» و«حاتم» و«عاصي» يرمقون بعضهم البعض، جالسين على أسرتهم الملاصقة للأرض، كعوازل السيدات القديمة بأبواب ومداخل تلك الأزقة العتيقة، إلا أن «عاصي» كان أكثرهم حيوية، يقول وقد ظهر عليه التوتر:

- طب إيه.. هانقعد ساكتين كده؟ دول تلات أيام.

بهدوء يبدأ «حبيب» بتعريف نفسه:

- أنا «حبيب».

يبتسم «عاصي» ناظرًا إلى «حاتم» ليعرف بنفسه، ولكنه لم يجبه وكأنه لم يسمعه، بل توجه إلى حقيبته وأخرج منها علبة سجائر ليشعل إحداها، قبل أن يتدخل «سيف» ساعلًا:

- في إيه يا حاج؟ ماتدخن برا.

بنظرة خاطفة أومأ له «حاتم» إلى عكازه، ليرتبك «سيف» فأنشأ يعتذر:

- أنا آسف، معلش..... أنا «سيف».

يتفاعل «عاصي» مع الرفاق:

- عاشت الأسامي يا رجاله.

يقولها ثم يقف مقتربًا من «حاتم» ليخطف سيجارةً دون استئذانه، ليذهل الأخير مندهشًا مُبرقًا بعينيه فلا يجدي هذا نفعًا معه؛ إذ لم يخجل «عاصي» على كلٍّ:

- معلش أصل «أشرف» أخد مني كل سجايري.

يعترض «سيف» غامزًا بإحدى عينيه، منبهًا «سيف» على ما كانت تحتويه..

- عشان مكنتش سجاير، ريحة الحشيش كانت قد كده!!

متبرمًا «عاصي»:

- إحنا هانبدأ أحكام من أولها كده؟!

- ولا أحكام ولا حاجه، ربنا يصلح حالك إن شاء الله.

قالها «سيف»، ثم أبرز مصحفًا من حقيبته وغادر الخيمة، وقد أخذ «حبيب» يسعل هو الآخر من دخان السيجارة، ليتبع «سيف» إلى الخارج، ليلمحا من الخارج خامسهم إذ كان «حلمي مهران» قائمًا بعيدًا عند الشاطئ فيرقبانه للحظة، ويحاول «سيف» استقراء ما في عقله:

- هو الراجل اللي هناك ده مش مستنضفنا ليه؟!

- «حلمي»؟

يتساءل «حبيب» ليتابع «سيف»:

- معرفش اسمه، بس مش مستريحله، شكله وراه حاجه..

قالها «سيف» معلقًا، بينما كان «حلمي مهران» في عالمه ومن موقعه بهذه الجزيرة المنعزلة سابحًا في الملكوت ما فتئ قائمًا شاردًا في بهاء الكون، متلبسًا بحالة من الإيحاء والتجلي وهو يرمق ذلك المركب الصغير الذي بدأ يقترب من الشاطئ -في خيال عقله المريض- إذ كانت صديقته الصحفية «حنان» هي الوافدة التي على ظهره، وحال وصولها ترجلت متسائلة:

- إنت بتعمل إيه هنا يا «حلمي»؟! وليه ماقولتليش إنك جاي؟!

لائذًا بالصمت، ظل «حلمي مهران» يراقب رؤيا عقله

الداخلية وهي تكمل:

- ماتخافش محدش غيري شايفك، أنا جوا دماغك في العالم اللي انت خلقتهولنا كلنا.

يظل «حلمي مهران» صامتًا لتتابع هي معاتبة:

- مكنتش محتاج تيجي هنا عشان تشوفنا، إنت دماغك أكبر من الجزيره كلها.

يقترب «حلمي مهران» منها بضع خطوات:

- بس يمكن هنا الصوره أوضح!

- طول عمر صورتنا واضحه قدامك يا «حلمي»، إنت اللي بتهرب منها..

يلتفت مبتعدًا عنها لتناديه:

- أنا بحبك يا «حلمي».

يعود هو إليها في تردد، لتكمل هي:

- كلنا بنحبك يا «حلمي».

يبتسم «حلمي مهران» لها بعدما أدرك أنها غير موجودة إلا هيئتها وقد حملها الموج على ظهره إلى مكان بعيد، ليحدث نفسه:

- ما أنا فعلًا اتحب!

***

بدأت «سميحة» بنقل الطعام من منطقة الطهي إلى جلسة عربية منخفضة في العراء تحت ستر الليل المتهتك، فلا يوثق فيه أبدًا ولا يُؤمن جانبه بصورة تامة!! كانت تجلس في المجلس هذا «فرح» صامتة كعادتها، لتبتسم لها «سميحة» ووضعت الطعام ثم عادت إلى «هدى» ومن بعدها جاءت «جميلة» هي الأخرى بجزء آخر من الطعام، لتضعه قبل أن توبخ «فرح»:

- هي الهانم مش هاتساعدنا ولَّا إيه؟!

لم تجبها «فرح» ووضعت سماعتها لتعاود «جميلة» الصياح:

- ما تردي.. إنتي خارسه!

تتشنج «فرح» خوفًا، لتعلق «جميلة» مندهشة:

- ما لك يا بنتي في إيه؟!

تزداد «فرح» ارتعاشًا مع اهتزاز جسدها للأمام والخلف بطريقة مرضية، تتزايد شيئًا فشيئًا مع تصاعد طبول الموسيقى، و»جميلة» قد غزاها الخوف، فانسحبت متراجعةً، وهي تصرخ منادية الدكتورة «هدى»:

- يااا دكتور.

تقولها «جميلة» صارخة بينما «فرح» شاردة قد عادت إلى ذكرى قديمة داخل عقلها الباطن منذ شهور طويلة، حيث زارت هذا الجراح المشهور «ماهر» الذي كان ممسكًا بأشعة «فرح» الجالسة أمامه مقابل أختها الأربعينية «مي» ليوجه إليها

الطبيب الحديث:

- والله يا «مي» هانم أنا شايف حالة «فرح» أختك مش محتاجه أي تدخل جراحي خالص، أعتقد إنكوا لازم تبدأوا العلاج النفسي، خصوصًا مع تاريخها بأعراض الأوتيزم.

ظل الدكتور «ماهر» خالعًا نظارته الطبية، بينما ظلت «مي» رافضة، فقد كانت هي من ترعى أختها الصغيرة، وقد كانت «مي» ملائكية الطباع والملامح، فهي بيضاء البشرة حد الجنون، بشعر أسود مموج حالم لتقول:

- بس يا دكتور «ماهر» «فرح» كانت اتحسنت جدًّا، وبقت تقريبًا طبيعيه خالص... وبعدين تقرير الأشعه مبين إن في حاجه!

- أنا فاهم، بس صدقيني أنا كجراح، بقابل حالات أسوأ من كده كتير، وبتقدر تتكلم عادي...

تسكت «مي» وهي تنظر إلى «فرح»:

- «فرح» محتاجتش مساعده قبل كده، رغم كل حاجه كنا بنعدي المشاكل سوا، معرفش ليه مش عايزه تشاركني المرا دي، «فرح» دي تبقى بنتي اللي مخلفتهاش يا دكتور.

- دوري وهاتلاقي يا مدام «مي».

يقولها قبل أن يقوم بإبداء نصيحة أخيرة:

- تحبي أرشحلك طبيب نفسي ولَّا تعرفي حد؟

- هو أنا حقيقي أعرف، بس يا ريت حضرتك ترشحلي حد.

وقد كان!

***



(02)

تحت إضاءة خافتة عند الجلسة العربية جلس ثمانيتهم في شكل دائري، بعدما أنهوا طعامهم، يسترخون وقد تسربلوا بغطاء الليل فضفاضًا، لتبدأ الدكتورة «هدى» أولى جلساتهم:

- أعتقد بعد ما أكلنا وشربنا واطمنا على «فرح»، المفروض نكمل تعارف على بعض، عشان اللي حصل ده مايتكررش.

تتدخل «جميلة» مبرئةً نفسها:

- أنا والله مكنتش أعرف إنها عيانه.

- تاني يا «جميلة»؟! «فرح» مش عيانه، هي مختلفه مش أكتر، وياريت أي حد مننا يقدر يحقق اللي هي حققته.

يعلق «سيف» مستخفًّا جاهلًا ما حققته «فرح» قائلًا:

- حققت إيه يعني؟!

تشير «هدى» جهة «فرح» مجيبة:

- أتمنى إن هي تحكيلنا بنفسها لما تهدى، صح يا «فرح»؟

تنظر إلى «فرح» متسائلة، لتومئ الأخيرة برأسها، ويظل «حلمي مهران» يرمق «فرح» بتركيز قبل أن يلفت انتباه الدكتور «ماهر» الذي عبر في الخلفية من بعيد، ليندهش هو، وتلاحظ «هدى» تشتته متسائلًا:

- ما لك يا «حلمي»؟!

بعد أن لاحظ «حلمي مهران» اختفاء الدكتور «ماهر» لاذ

بالسكوت، لتتابع الدكتورة «هدى» إرشاداتها:

- لازم تتكلموا يا جماعه، ياريت كل واحد يتكلم عن نفسه شويه، ونشارك بعض الأسباب اللي وصلتنا لهنا.

يتدخل «حبيب» مُتجرئًا عليها:

- طب ما تبدئي حضرتك.

- أنا؟!..

تجيب «هدى» مندهشة.

- أيوه، على الأقل تفهمينا المفروض نقول إيه!

- ماشي . . .أنا «هدى الحكيم»، من أب مصري وأم كندية، ودرست هناك طب واتخصصت في الطب النفسي.

يعلق «عاصي» منغمسًا في الحوار:

- واشمعنى الطب النفسي؟!

لا يزال «حلمي مهران» يرمق كلًّا منهم، بينما تجيب الدكتورة «هدى»:

- عندنا في «كندا» علم النفس تخصص ما يقلش عن أي تخصص طبي تاني.

ترتعش يد «هدى» التي يلاحظها «حلمي مهران»، بينما تتهكم «جميلة» متسائلة:

- وسيبتي «كندا» ورجعتي ليه؟!

- المنفعة العامة... حسيت إني أقدر أفيد الناس هنا أكتر.

- نظريه برضه...

- بالظبط ....ده اللي اتعلمته من والدي، لما اختار يرجع مصر عشان يفيد الناس.

كذبت هي وإن كانت صادقة!!

- يعني سابكوا ومشي؟!

تكمل «جميلة» تهكمها، ليقوم «حبيب» بمداخلة:

- طيب ووالدك.....؟

قاطعته «هدى» من فوره في ضيق صادق، بعدما استطاع «حبيب» الضغط عليها:

- مش مهم والدي، ومش مهم أنا دلوقتي، المهم انتوا، أنا دوري إني أخليكوا تواجهوا مخاوفكوا كلها، وده عشان يحصل لازم تتعلموا تتكلموا عليها، هنا هانشارك بعض بكل حاجه ومحدش يخاف، لأن زي ما قلتلكوا اللي هايتقال هنا هايتدفن معانا...ها مين هايبدأ؟

يعلق «عاصي» مُتَلِمِّسًا:

- طب اختاري انتي يا دكتورتنا، ماشي، وأنا هاختارك، عشان انت المفروض أجرأ واحد هنا.

- جريء آه، بس مش شاطر زيكوا يا دكتور.

- إحكي وسيبلنا الحكم.

بدأ «عاصي» في تذكر قصته التي كان يقرأها الآن «أشرف» في ملفه من داخل هذا الكوخ الخشبي، بينما هو يحتسي مشروبه الكحولي الموضوع على منضدته بجانب باقي ملفات سبعتهم، فقد كانت قصة «عاصي» مؤثرة وها هو يقصها وهو يرتشف رشفة من مشروب موضوع أمامه، بينما يريح ظهره قائلًا:

- أنا «عاصي» وده مش اسمي الحقيقي على فكره، ده الاسم اللي أمي كانت بتندهني بيه، عشان طلعت شيطاني، عكس تربيتها أصلها.. كانت ست عظيمة، وهبت حياتها للخير وللناس ومابخلتش عنهم ولا عني بأي حاجه، من ساعة ما أبويا مات للأسف كنت دايمًا مخيب ظنها وعمري ما قدرت أفرح قلبها، كنت جاحد بنعمة ربنا عليا وماشوفتهاش، سبتها هي تمسك مصانع أبويا وأنا فضلت أضيع فلوسها على البارات.

يتوقف لحظة ثم يرتشف رشفة أخرى من مشروبها، ثم يتابع وهو ينظر إليها:

- مش قلتلك مش شاطر؟!...

سكر وسكرت، حشيش وشربت، وبعدها في البودرة ووقعت.

يقولها وهو يتذكر لمحات من ماضيه في البارات وعبر ذل المخدرات.

- بقيت مدمن، مدمن كل حاجه وأي حاجه، لغاية ما بقيت صفر، وبعديها نزلت عن الصفر، لما خسرت كل حاجه.

قالها جائلًا في المكان بعينيه مستبصرًا، حتى انتبه إلى وجود أمه «منال» تقف هناك خلف المخيم تراقبه في صمت، تسمَّر بمكانه مرتقبًا، يكاد لا يصدق ما ترى عيناه!! يقف «عاصي» ويخطو خطوة مستأخرًا عن جمعهم متوجهًا إلى والدته تناديه والتي لم تحضر إلا في خياله! بضع خطوات خطتها قدماه، ليجد نفسه فجأة داخل غرفة بمنزل والدته، ليظل مندهشًا، قبل أن يرى نفسه في مشهد قديم يتذكره جيدًا يراقب ما حدث مسبقًا بالفعل! حيث كان «عاصي» حينها مهلهل الثياب يبحث عن مخدراته، هائجًا يتحرك مندفعًا كالمجنون إلى صالة المعيشة؛ بحثًا في كل بقعة عن مخدراته!!

- هي فين؟!!!

بالخارج كانت «منال «أمه هناك قائمةً، ترتدي وشاحًا أحمر.

- هي إيه؟!

- إنتي عارفه كويس فين الحقنه.

- يا أخي إيه البجاحه دي؟! بتسأل على المخدرات في البيت وقدام أمك؟!

لا يبالي لها «عاصي» ويدخل غرفة الأم باحثًا عن حقنته كالمجنون ذات اليمين وذات الشمال، بينما هي من خلفه تنهره!!

- إنت اتجننت يابني؟!!

لا يجيب «عاصي» لتقترب منه الأم فيدفعها، مُواصلًا بحثه،

حتى سحب درج الدولاب ليجد ضالته أسفلها، ابتسم ابتسامة نشوة لقاء الحبيب بحبيبه، بينما الأم من خلفه تحاول منعه باكية تتوسل لربها، وتستهدي ولدها!!

- بلاش والنبي يا ابني، ماتضيعش نفسك، كفايه كده.

يتنحَّى «عاصي» غارزًا الإبرة في ذراعه بحرفية عالية، وحالما اقتربت الأم مرة أخيرة منه لتسحب الحقنة، استعصى عليها، واسترضى شيطانه المريد، فدفعها للمرة الأخيرة، لتسقط أرضًا على رأسها، سائلة دماؤها في المكان، ما فتئت تنادي باسمه ممسكة بقدمه وهي تجود بنفسها في لحظاتها الأخيرة»

- «أمير».. إبني.

ينتبه «عاصي» للتو لما فعل، ليجثو أرضًا، قبل أن تلفظ أمه أنفاسها الأخيرة ويظل يصرخ ويولول آخذًا بوشاحها الأحمر:

- أنا مش «أمير» أنا «عاصي».

ينتبه «عاصي» لنفسه، فإذا به قد عاد لحاضره في هذه الساعة من الليل قد تناثرت فوق رأسه النجوم في السماء واقفًا بالخلاء بإزاء المخيم، لا يدرك كيف تخيل تلك الرؤيا أو الذكرى! ليظل شاخصًا إلى مخيمه، شاعرًا بأمه القائمة خلفه، مسترسلًا في شروده تابعًا إياها، تاركًا المجموعة المندهشة مما يفعل، إذ كان المكان خاليًا من كلّ ما بأوهامه!!

- ماله ده ملبوس ولّا إيه؟!

تقولها «جميلة» وهي تراقب شروده، وسعيه خلف السراب، وقد لاحظ «حلمي مهران» أنه أبصر ما شاهده «عاصي» بالفعل، فقد تجسدت له الرؤيا بالفعل، ليظل هو الآخر مندهشًا قبل أن تتدخل «هدى» مشيرة بيدها وجهتهم:

- خلوه ياخد وقته.

يقف «حلمي مهران» الذي ناداه الفضول بعدما أبصر «عاصي» والده هو الآخر، لتتساءل «هدى»:

- على فين يا «حلمي»؟!

- هاجيب حاجه من الخيمه.

كاذبًا قالها وهو يتحرك ناحية الخيمة، بينما هو يتبع «عاصي» الذي ظلت «جميلة» ترمقه مضيفة.

- إيه يا دكتوره المصيبه اللي انتي جايبهالنا دي؟! مدمن؟!

ترفض «هدى» وصف «جميلة» قائلة:

- بالعكس «أمير» مجرد بني آدم غلط وندم، لدرجة إنه حاول ينتحر أكتر من مره..

تعقب «سميحة» متهكمة:

- وهو مين فينا ماحاولش ينتحر قبل كده ؟!!

يسكت الجميع بالفعل شاردين، لتتدخل «هدى»:

- عشان كده يا جماعه محدش ينفع يحكم على التاني، لأن محدش فينا جاني، والأهم محدش منا يصلح يبقى

حكم......

يتساءل «سيف» في آدمية أصبحت من طبيعته:

- وهي أمه ماتت؟

- لسه.... هي شبه ميته في المستشفى، قلبها ماستحملش الوجع.

لوهلة تَصْفِنُ تتذكر «هدى» تلك المسكينة المستلقية على سرير بالمستشفى ثم تردف:

- ومتعلق بيها بيوت آلاف الغلابه، مستنيين معجزه.

كانت «منال» قد استطاعت إدارة مصنع زوجها المتوفى، ليفتح بيوت الكثير من العمال الذين غدوا مشردين، بعدما جرى لها ما جرى!!

- وهو ليه «عاصي» مايمسكش مصالح الناس؟!

تتساءل «جميلة» لتجيبها «هدى»:

- للأسف الاكتئاب منعه، كان أقوى عليه من الإدمان..!!ها مين تاني يحب يتكلم النهارده؟

تنظر «هدى» إليهم، دون أن يعلق أي منهم، لتتوقف هي عند «سميحة» لتختارها:

- «سميحة».

- أنا؟!

توترت «سميحة» لتحاول البدء بالحكي، هذا بينما من على

بعد عدة خطوات كان «حلمي مهران» بظهر الخيمة منبعثًا من بين وسط أيكة ملتفة من الأشجار كان يتلصص منها، فولّى هاربًا، ليتبع «عاصي» الذي ظل يمشي خلف أمه كالنداهة في ذهول وسط الجزيرة، لا يتفهم ما إذا كان واهمًا أم واعيًا! إلا أن الشرود ظلَّ يملأ ملامحه!

- ماما!!

ظل يحاول اللحاق بها عدة خطوات، عقبها توقفت أمه والتفتت إليه:

- أيوه يا «عاصي».

يذهل «حلمي مهران» الذي استطاع رؤية «عاصي» للتو قبل أن يتوقف الأخير ناظرًا أرضًا في خجل.

- صح يا أمي أنا عاصي مش «أمير».

ثم يرفع رأسه ليجد الأم قد اختفت، غير أن وشاحها الأحمر مُلقًى على الأرض!

من خلفه يندهش «حلمي مهران» الذي يلاحق أوهام الرجل مشدوهًا من أثر ما يرى من أحوال!! بينما يحاول «عاصي» استيعاب ما يحدث، قبل أن يقترب بهدوء ليجثو على ركبتيه ويمسك بالوشاح ليجد في داخلها تلك الحقنة التي يعرفها عن ظهر قلب، ليمسكها في تردد بينما من خلفه لا يزال «حلمي مهران» يراقبه، رصده ممسكًا بالحقنة، ليتعرف عليها، قبل أن يستسلم لسمها مرة أخرى، فيبتسم رغم دموعه وهو يغرزها في وريده!

- أنا آسف يا أمي..

يتوتر «حلمي مهران» وهو يشاهد «عاصي» يرتعد فور أخذه الجرعة الزائدة، فيهرع إليه مسرعًا في محاولة لنجدته....

- أنا من عيله غنيه، عشان كده أبويا مكنش موافق على جوزي..

قالتها للتو «سميحة» التي كانت قد بدأت تسرد قصتها للبقية من على الشاطئ:

- كان نفسي أمي تبقى عايشه عشان تفهمه إحساس الست لما قلبها يختار، بس للأسف السرطان سرقها مني.

هربت من عينيها دمعة، ثم تابعت:

- هربت واتجوزت دكتور كان معايا في الجامعه، والصراحه عشت أحلى سنين حياتي، وخلفت إبني الوحيد، أجمل هديه من الدنيا، بس حسيت فجأه بوجع أبويا، لما عرفت إن ابني عنده سرطان!

يرمق «حبيب» «سميحة» بعطف شديد لاحظته «جميلة» مبتسمة، قبل أن تكمل «سميحة» والألم يعتصر فؤادها، لتفلت من عينيها دموع منهمرة حارقة من حُشاشة كبدها فأمضتها:

- تخيلوا إبن السبع سنين، يواجه المرض ده لوحده!..

- وجوزك؟!

سألها «حبيب» مستفسرًا، فأجابته متحسرةً:

- عاتبني، عشان السرطان وراثي في عيلتي!

- سنه وأنا في أسوأ رحله ممكن إنسان يعيشها، خصوصًا لوحده، أشعات وكيماوي ودكاتره، حياه شبه يوميه داخل المستشفى، من غير عيلتي ولا جوزي، يمكن الحاجه الوحيده اللي صبرتني كانت المستشفى، شهور طويله واحنا حاسين بالحب والموده، الدفا ده قدر يوصل لقلوبنا كلنا.

قالتها وهي تتذكر مستشفى 57357 بينما كان الممرضون يلاعبون ابنها مرتدين الأزياء البهلوانية، بينما ابنها حليق الشعر في وسطهم يضحك، لتبتسم «سميحة» للحظات ناسية همّها.

العلاج بدأ يجيب نتيجه كويسه والأمل اتملكني، والحياه رجعتلي، بس للأسف العلاج هاجم جسمه الضعيف، لغاية ما في يوم تعب مني فجأه، وروحنا أقرب مستشفى طوارئ، وهناك كانت آخر بسمه ليه، ما هو مفيش هروب من قضاء ربنا!!

تقولها متذكرة اللقاء الأخير من داخل الطوارئ حيث كان ابنها مستلقيًا لا يبدي حراكًا، لا مُمَانعة ولا مطاوعة، منهارة تتشبَّث بولدها ضامة إياه بين حنايا ضلوعها، راحت تجهش بالبكاء بصوتٍ مُفزعٍ، أطلقت عدة شهقات تحشرجت في صدرها، وبركانًا يُذيب قلبها ذوبانًا، تبكي الدم بعد الدمع من حممه فورانًا، لتهرع إلى الخارج طالبة النجدة، وإن كان قضاء الله أقوى، فقد استرد وديعته لتبكي جاهلة أنه كان تذكرتها للجنة. من الطوارئ كان الجميع مشغولين في حالات كثيرة

منها حالة تلك المرأة التي حاولت الانتحار، والذي يهرع بها زوجها في هلع هو الآخر، حيث كان الرجل هو «حبيب» يهرع بترولي زوجته، بينما كانت «سميحة» تستصرخه وهي تنوح نَوْحًا، كل ما جاد به أن اختلس نظرة كسيرة إليها، ما زاد وما عاد، عَمَدَتْ حينها تستوقفه، فلم يكد يُلم بما تقوله أو تطلبه، قبل أن يتركها إلى ما هو فيه حينها عكس شعوره الآن جانبها على الجزيرة حيث استطاعت هذه المرة أن تستوقفه، لتهرب الآن دمعة من عينه متأثرًا ببالغ الأسى بقصتها؛ الأمر الذي تلاحظه «هدى» بنظرة فضول:

- بعديها كل حاجه في حياتي وقفت حتى قلبي، مازعلتش لما عرفت إني مش هاعيش كتير.

تقولها «سميحة» ممسكة بقلبها، ليظهر من أسفل بلوزتها هذا الجرح الذي يدل على جراحة ما، وتقول:

- بس بابا برضه ماسبنيش، وكإنه بيعاندني!

تقولها عائدة بذاكرتها إلى ما بعد موت ابنها حين علمت بضعف قلبها الذي لم يستطع ضخ الحياة إلا لأيام قليلة، إلا أن والدها رفض أن يتركها للموت، وتمسك بها ليستخدم نفوذه الآن لإنقاذها بهذا القلب الذي اشتراه من قتيل رغمًا عنه، ليقوم الجراح الماهر بإنقاذها، لتعود «سميحة» بالذاكرة للوراء، حيث تتذكر «سميحة» بعضًا مما جرى ليلتئذٍ داخل غرفة عمليات ليست بمستشفى، بل في مكان مختلف إلى حد ما، تظهر مستلقية على سرير وهي تقاوم المخدر، قبل أن تنظر إلى جانبها هي مستلقية بعدما أخذ منها قلبها، بينما حضر

الدكتور «ماهر» ليطمئنها في ود شديد، لتغلق عينها رجوعًا إلى الحاضر لتقول:

- وقدر بابا يستخدم نفوذه وينقللي قلب، عشان يخليني أعيش في الوقت الوحيد اللي اتمنيت فيه الموت، وبعدها سابني برضه لوحدي وحصَّل أمي. . .!!!

يظل «حبيب» المتأثر يرمق جرح «سميحة» في شرود، لتلاحظ «هدى» مبتسمة بفضول يدركه هو، فيهرب من الحديث متسائلًا:

- هو «عاصي» اتأخر كده ليه؟!!

يقف «حبيب»، بينما يتجاهله البقية لتقترب «جميلة» من «سميحة» تضمها:

- قلبي عندك يا «سميحة».

تستوقفها «سميحة» باستعارة قائلة:

- مش محتاجه، خلاص بقى عندي واحد، وأديني عايشه أهو، و«أشرف» كتر خيره دلني على الدكتوره «هدى»، يمكن تقدر تلاقي سبب للقلب المزروع جوايا يعيش عشانه!

- هاتلاقي يا «سميحة «ماتخافيش.

تقولها «هدى» وهي تراقب انفعالات وجه «حبيب» بابتسامته، قبل أن يتابع هروبًا:

- طب أنا هاروح أشوف «عاصي» فين.



تعترض «هدى» مردفة:

- اسمه «أمير».

يتحرك «حبيب «إلى عمق الجزيرة متواريًا وحيدًا متجهًا إلى «عاصي» الذي كان بين يدي الله، بينما لا يزال «حلمي مهران» ممسكًا بجثمانه الذي لفظ أنفاسه الأخيرة للتوِّ، في توتر غير مصدق، وهو يحاول مرارًا الضغط ناحية قلبه، حتى نهض يائسًا، قبل أن يلفت انتباه «حلمي مهران» تلك الحقنة الملقاة أرضًا، ليلتقطها فيعرفها من توِّه، إنها إبرة محشوة بجرعة مخدر لعينة، سلاح قاتل فتَّاك، كم أجهز على الكثير، وأودى بريعان حياتهم، ليبرق فيها بين ناظريه ناقمًا أشد ما تكون النقمة، يكاد الشرر يقدح ويتطاير من عينيه!! قبل أن يعود من وحيه إلى ما يحدث سامعًا صوت حركة وسط الزرع، فيلتفت ليرفع رأسه ليشاهد شيئًا ما جعله يتوتر!!!!

***

(03)

لاحظ «حلمي مهران» للتو اقتراب «حبيب»، يزيد صوت حركته صوت الطبول في أذني «حلمي مهران» الذي حاول الهرب مسرعًا، فلم يلحظه «حبيب» فقد كانت أذن الأخير مشغولة بصوت خرير المياه وسط الجزيرة، ليتذكر ما حاول نسيانه!!

عائدًا بالزمن إلى الوراء قليلًا حين دخل «حبيب» غرفة منزله، وبيده بوكيه من الورود ليعطيه لزوجته، ولكنه وجد الغرفة خالية وصوت مياه الاستحمام عالٍ يصدر من حمام الغرفة، فوضع البوكيه على السرير ليفاجئ زوجته، قبل أن يلاحظ درج الكومود خاصتها مفتوحًا!

اقترب إليه في حذر مع استمرار صوت المياه من الحمام، ثم جلس على السرير ليكمل فتح الدرج؛ ليجد تلك الأجندة الحمراء التي سطرت فيها زوجته قصتها، وتظهر بين سطورها جملتها الأخيرة:

«لم أعد أتحمل وحدتي»

كانت زوجته مريضة اكتئاب منذ فقدانها الأمل الأخير في الإنجاب، ليظهر الضيق على «حبيب»، فيضع الأجندة ملاحظًا علبة دواء داخل الدرج يعرفها جيدًا؛ نظرًا لتخصصه الطبي، فتناولها بيساره من الدرج ليتأكد من صحة ما توقعه في ذهنه توًّا، ليظهر التوتر عليه حينما انتبه إلى خلو العلبة، معيدًا رجها ليتأكد، ليدرك «حبيب» الأمر فيُحرر الأجندة من يده، ويدعها

تتهاوى ساقطةً أرضًا، ثم يتجه إلى باب الحمام ليفتحه جاهدًا، فلا ينجح، يهتاج فيعيد الكرة بعد الكرة بجنون!! قبل أن يكسره أخيرًا ليجد ما لم يحتسب عقباه..

يعود «حبيب» بجوف الليل إلى واقعه في الجزيرة والاشتياق يملأه، يتابع حركة خطاه، ليتوقف عند شيء ما يحول دون ذكرياته، إنه جثمان «عاصي»!!

هذا بينما ومن على بعد برز «حلمي مهران» من خلفه بعدما استطاع الفرار مُفلتًا من المكان، ليعود إلى تجمع الشاطئ مسرعًا ممسكًا بمكعب «روبيك» لترمقه «جميلة» في توبيخ:

- هي دي بقى اللي كنت بتجبها؟!

- مكعب «روبيك» ده محتاج ذكاء مختلف.

تقولها «هدى» مدافعة عن «حلمي مهران».

- لازم اللي يلعب بيه يكون ليه عالم خاص، عشان تقدر تتخيل فيه كل أطرافه...

قالتها «هدى» ليتوتر «حلمي مهران» ثم تنظر إلى البقية عطشى للمزيد من الروايات:

- ها.. مين تاني يحب يحكي قصته؟

لم يكترث أحد ولم يعبأ، سوى «فرح» التي لاحظت شيئًا ما يتحرك بصورة غير طبيعية، فقامت بصمتها وهي تنظر إلى ما يتحرك، لينتبه الجميع لهذا القادم يهرع ناحيتهم! فقد كان «حبيب» هو الذي جاء يهرول، فتتساءل «جميلة»:

- ماله ده؟!

وقف البعض ليقترب «حبيب» بعدما توقف مستجمعًا أنفاسه، ليسانده «سيف» متسائلًا:

- في إيه؟

- «عاصي»!

- ماله؟

تتساءل «سميحة» مذعورة:

- مات..

- يا نهار اسود!

تنهار «جميلة» بينما يذهل الجميع عدا «حلمي مهران» ليتدخل «سيف»:

- فين؟! وإزاي؟!

يقف «حبيب» ويقول بتعب، وصوت متقطع مشيرًا إلى ما بعد الكامب.

- جوا هناك.

يتحرك «سيف» لتحدثه «جميلة»:

- رايح فين؟

- أشوف الراجل..

تبدأ «جميلة» برؤية وجه «سيف» الحقيقي، الذي به الكثير



من الشهامة لترمقه بنظرة مختلفة عن رجال أفكارها، بينما يتحرك «سيف» مع «حبيب» الذي صاحبه متضررًا، لتتبعه «سميحة» وهي تنظر إلى البقية، تتبعهما «فرح»، ثم «حلمي مهران» لتقف «هدى» من بعدهم في تردد، فتقع منها حقيبة يدها التي بها هاتفهم الوحيد بجانب تلك النيران، فيخطف «حلمي مهران» نظرة إليها لاحظها «حاتم»، قبل أن يلتف مكملًا معهم، غير مكترث لمصير تلك الحقيبة التي بدأت النيران تطولها شيئًا فشيئًا، بينما يظل «حاتم» يرمق الحقيبة، تأكلها النار وتحترق، ثم يقترب منها ليفكر في نجدتها قبل أن يمنعه صوت سفينة ما، صوت سارينة كتلك الموضوعة على السفن تصدر نشاز أصواتها من مكان ما..!! ليقشعر «حاتم» ويبتسم متخليًا عن تلك الحقيبة بجانب النيران التي يراها قد ابتلعتها ويتوجه إلى المياه باحثًا عن مصدر الصوت، فتلامس قدماه المياه، بينما من خلفه تظهر حقيبة «هدى» والنيران تلتهمها.

من بين جنبات هذا الليل الضخم بوسط الجزيرة البكر وقف البقية من أمام جثة «عاصي» وتلك الحقنة داخل وريده، لتستدير «فرح» هربًا من المشهد، ذرعها القيء، سعت لتتمالك نفسها ولتسمع موسيقاها واضعة إياها في أذنها، ثم بدأت ركضها الرياضي هربًا من الموقف، بينما جثا «سيف» ممسكًا بالحقنة.

- ده انتحر مامتش عادي....

- لأ ده مات من جرعه زياده أكيد.

تعلق «جميلة» بينما تظهر «هدى» وهي مستمتعة بمراقبة ردود أفعالهم ليحاول «حلمي مهران» هو الآخر فهم رد فعل تلك المريضة الغريبة في حين يُجوِّدُ «سيف»:

- ما هو لما واحد مبطل بيرجع بجرعه زي دي، بيبقى عارف إنه بينتحر.

- وهو جاب منين أصلًا الحقنه دي؟!

تساءلت «جميلة» لينظر «سيف» إلى «حبيب» في شك.

- هو مين آخر واحد كان معاه؟!

- بتبصلي كده ليه؟

يجيب «حبيب» متلعثمًا مختلطًا أمره:

- أكيد كان مخبي الحقنه معاه.

- ما «أشرف» مفتشنا كلنا.

يعلق «سيف» ناظرًا إلى «حلمي مهران»:

- إنت كمان مكنتش معانا.

يمسك «حلمي مهران» بمكعب «روبيك»، لتجيب «هدى» مدافعة عنه:

- «حلمي» كان في الخيمه.

مكث «حلمي مهران» يرمق «هدى»، بينما توجَّهت إليها «جميلة» بالحديث معاتبة:

- كله منك انتي.. حرام عليكي.

- مش وقته الكلام ده يا «جميلة»..

- وهي الدكتوره «هدى» مالها بس؟...

يعلق «حبيب» متدخلًا:

- مش هي اللي جابتنا هنا، وأعدت تضغط على الواد لغاية ما انفجر؟

تتدخل «سميحة» شارحةً:

- يا جماعه ما هو حاول ينتحر كتير قبل كده.

- طيب اشمعنى هنا يعني؟! ما كان قدامه الدنيا كلها!!!

تعلق «جميلة» متحيرةً، ليتدخل «سيف» مُلطِّفًا:

- خلاص يا جماعه ده قضاء ربنا، إحنا نرجع نتصل بـ «أشرف» يجي ويجيب البوليس ويخرجنا من المصيبه دي.

- بس دي هاتبقى فضيحه.

متخوفًا «حبيب» يقولها، لتوضِّح «هدى»:

- أنا آسفة بيبي، فعلًا مفيش حل تاني، دي مسؤوليه، ولازم نبلغ!

لبث «حلمي مهران» يرمق «هدى» لا يزال يحاول فك تصرفاتها، للحظات وقف يحد النظر فيها بينما سبقته بصيرته إلى تلك النيران يشاهد انعكاس النار على وجهها تزيد من قدح ذهنه، فتعينه على استقراء ما في مخها!!

فمن أمام حقيبة «هدى» المحروقة كان الجميع قد عادوا واقفين يتأملون «حاتم» الشارد للبحر مستمتعًا بسيجارته، لينهره «سيف» معاتبًا:

- إنت إزاي يا بني آدم ما تلحقش الشنطه؟!

- دي فيها التليفون الوحيد اللي معانا..

تقولها «هدى» لائمة أيضًا حال «جميلة» وقد بدأت إظهار بذاءتها قائلة:

- إنت مشلول ولّا متخلف؟!

لا يعيرهم «حاتم» أي اهتمام، بينما «حبيب» كافٌّ إياهم عن التململ والتولول، يقول:

- كفايه صريخ، خلونا نفكر إيه الحل دلوقتي!

- معرفش، بس من غير تليفون مش هانعرف نوصل لحد.

قالتها «هدى» لتسألها «سميحة».

- طيب هو «أشرف» مش هايجي يطمن علينا؟

- «أشرف» عارف شغلي، ومش هايجي غير في اليوم الرابع.

- يعني إيه؟! هانفضل هنا مع الجثه دي تلات أيام، الجثه مش هاتستحمل كل ده.

قالتها «سميحة» ليظهر التوتر على ملامح الجميع، حتى كادوا يبللون سراويلهم، قبل أن يتدخل «سيف»:

- يبقى مفيش غير حل واحد..

قالها وقد كان، فإكرام الميت دائمًا دفنه، ليبدأ «سيف» مع «حبيب» بهمة وعزيمة وتحت جنح الظلام يحفران قبر «عاصي» من عمق الجزيرة بينما كان «حلمي مهران» يقف أعلى.

- إنت مش هاتحفر معانا يا عم انت؟!

تساءل «سيف» في غضب، ولكن «حلمي مهران» أبى أن يجيب من أعلى ليتحرك بعيدًا، ليعلق «حبيب»:

- كمل كمل يا عم.

كان «حلمي مهران» يتحرك من أعلى القبر وكأنه منوم مغناطيسيًّا متجهًا ناحية الشاطئ، ليلًا بالعراء، قبل أن تحدثه «ماجي» من خياله متسائلة:

- فين يا «حلمي»؟

مشدوهًا من تواجدها يندهش «حلمي مهران»:

- «ماجي»!!

- أيوه، كنت فاكرني مين؟

يحاول «حلمي مهران» الإمساك برأسه، ثم يبحث في جيبه عن المورفين، لتسبقه من خيال عقله المريض.

- بتدور على المورفين؟

- ما «أشرف» خده.

أجاب «حلمي مهران»، ثم تابع متسائلًا:

- إنتي هنا؟

- لأ، أنا في دماغك يا «حلمي».

يمسك «حلمي مهران» رأسه مرة أخرى، لتتابع هي بالحقيقة التي يعرفها عن ظهر قلب:

- كلنا في دماغك.

- يعني إنتي سراب؟!

- لأ، أنا حقيقه، كلنا حقيقه.

- عايزه إيه؟!

- عايزاك إنت، كلنا عايزينك إنت.

بصدق قالتها قبل أن تسأله السؤال الأهم في عقله:

- بس المهم إنت بقى عايز مين يا «حلمي»؟! ريحنا بقى وقولنا إنت اخترت مين؟!

ينظر «حلمي مهران» أرضًا في تردد:

- مش عارف!

يقولها ثم يرفع رأسه ليجد «ماجي» قد اختفت فيبتسم متقبلًا جنونه، ليتابع سيره شرودًا مبتعدًا عن هذا القبر الذي كاد «سيف» و«عاصي» ينهياه، قبل أن يخرجا من الحفرة، ليمسكا سويًا بجثة «عاصي» بها في الحفرة، التي كانت «هدى» تقف خارجها، بينما من جانبها تحركت «جميلة»

و«سميحة» مبتعدتين عن المنظر!!

خطوات ظلت كل منهما تخطوها بين الأشجار حتى تفرقتا، لتجد كل منهما وحيدة فجأة فيزداد هلع «جميلة» الآن وتبدأ بالصياح:

- إنتوا فين؟!!!

لا يجيبها أحد؛ فتزداد توترًا وتسرع، قبل أن تجد من أمامها ظل هذا الرجل الذي تعرفه جيدًا.. أجل إنه والدها من خلفها يهرع إليها، مزيدًا من خوفها، فتبدأ بالجري والهرولة وهي تلتفت إلى الخلف فتتعرقل وتسقط، فإذا بها قد وقعت تحت أقدام شخص ما يبتسم إليها.....

لدى الشاطئ ظل «حاتم» متوقفًا في المياه ينظر إلى البحر نظرات غريبة، حيث كان البحر نداهته، يناديه فيترك له العالم، فلكل منا نداهة تتحكم في قلبه وتنسيه عقله، قبل أن يسمع صوت جرس عجلة أطفال، ليلتف فجأة، فإذا به هذا الطفل الذي يعرفه «حاتم» جيدًا، يمتطي دراجته بحرفية وسط الجزيرة، ليحاول «حاتم» اللحاق به ولكنه يسرع أمامه بدراجة صغيرة، ليتابعه «حاتم» بصعوبة نظرًا لعكازه، قبل أن يصطدم بـ «سميحة» التي بدت خائفة هي الأخرى:

- في إيه؟! ماتخوفنيش...

تقولها «سميحة» متململة، ليظل هو يرمق الطفل من خلفها.

- شايفاه؟



تساءل «حاتم» مشيرًا إلى خلف «سميحة» التي تساءلت هي أيضًا:

- هو مين؟!

- الولد اللي هناك ده.

قالها «حاتم» مكررًا إشارته إلى خلف «سميحة» التي التفت، لتندهش، إذ المكان كان خاليًا تمامًا، ولكن «حلمي مهران» كان هناك على عدة خطوات، ولكن شاهد للتو هذا الطفل على دراجته، ليشارك «حاتم» رؤياه كما سيفعل مع الجميع، ليعود «حلمي مهران» بالنظر إلى «سميحة» ليجدها شاردة هي الأخرى في النظر إلى مكان آخر، فيلتف ليجد ابنها هناك يرتدي ملابس المستشفى وهو ممسك ببالون صغير، لتقع «سميحة» أرضًا، متأثرةً بمشهد وليدها، ليتأثر «حلمي مهران» الذي استطاع رؤية ابتسامة هذا الطفل حليق الرأس الذي اختاره ربه، ليعطي البقية درسًا يصعب تجاهله.

من على بعد عدة خطوات عادت «جميلة» إلى رشدها بعدما تعثرت أرضًا من أمام أقدام شخص ما يحاول الآن مساعدتها، بينما هي لا تزال تحاول إدراك واقعها من أثر الوقوع، لتنظر إلى أعلى في توتر وخوف تترقب الأقدام التي وقعت عندها، فوجدتها أقدام «فرح» التي هوت لتساعدها على الوقوف، حتى هدأت!

- «فرح»!!

ارتاحت «جميلة» وذهبت في محاولة لضم «فرح»، ولكنها

رفضت بشدة، باديًا عليها الضيق والتبرم، ولكنها ساعدت «جميلة» لتتابع معها العودة للشاطئ،؛ بينما من على بعد خطوات قليلة في هذه الليلة العصيبة كان «حبيب» قد أنهى للتو مع «سيف» تطويب القبر واضعًا بعض الصخور فوق الرمال، ليجلس مرهقًا قبل أن يستوقفه «سيف»:

- بتعمل إيه؟!

- إيه باخد نفسي، معلش أول مرة أدفن قتيل..

- طيب مش هانصلي على الراجل؟

يتأفّف «حبيب»، بينما تنسحب «هدى» لتتركهما أخيرًا قائلة:

- طيب صلوا براحتكوا.. أنا هاسبقكوا أطمن على البنات.

يومئ «سيف» برأسه، لينظر إلى «حبيب».

- عارف بتصلي إزاي؟

ينظر «حبيب» أرضًا ليعلق «سيف»:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

يقولها ثم يبدأ شرح الصلاة، التي أداها في دقائق قليلة حتى أنهاها.

- السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

من جانبه رشق «سيف» «حبيب» بنظرة شك، ثم تحركا سويًا بضع خطوات، حتى توقف «سيف» عندما شاهد ثلاثتهم يقفون

وسط الأشجار يرتدون الزي الأحمر كالمعدومين، ليظل في حالة صدمة! ليسأل «حبيب في خوف:

- هو انت شايف اللي أنا شايفه؟!

لبث «حبيب» مليًا ينظر إلى المكان في صمت، فقد كان خاليًا:

- شايف إيه؟!

تساءل «حبيب» بينما كان ثلاثتهم الآن واضحين إلى عين «حلمي مهران» الثالثة حيث كان يراقب المشهد، ليظل يرمق ثلاثتهم وهم مرتدون الملابس الحمراء يتوقفون والدماء تغطيهم حتى تسربلوا!

شرد «حلمي مهران» في المشهد السريالي قبل أن ينتبه إلى الدكتورة «هدى» التي كانت هي الأخرى تراقبه من جانبه قبل أن تنسحب.

يتحرك كل منهما في طريق عودته، في غياهب الليل من داخل عمق الجزيرة، ليظل «حلمي مهران» يتقدم وبيده مكعب «روبيك» ليحركه بعض الحركات، فأنهاه بخطف الخطفة، قبل أن يسمع صوت «هشام» فجأة من أمامه.

- أفندم يا «حلمي»؟

- إنت كمان؟!

تساءل «حلمي مهران» بينما أشار «هشام» لمكعب «روبيك».

- ما انت اللي ندهتني.

وضع «حلمي مهران» المكعب في جيب سترته الجلدية قائلًا:

- عشان تيجي تشوف اللي بيحصل هنا، مش ده شغلك؟

يبتسم «هشام» متهكمًا:

- شغل؟! هو انت مصدق إننا بنعمل ده عشان شغل؟ مش دورنا نصلح الدنيا يا «حلمي»، لو فاكر إن الدنيا ماشيه كويس بينا تبقى غلطان، الدنيا ليها رب خليه يشوف شغله وخلينا نشوف شغلنا.

- يمكن ربنا سخرني عشان أبقى سبب.

- يمكن بس ساعتها دي هاتبقى قضيتك انت يا «حلمي»، وأنا لو ساعدتك النهارده مش هابقى معاك بكره، كل واحد فينا ليه سكه.

- وانت اخترت سكتك؟

تساءل «حلمي مهران» ليجيبه «هشام» بالإيجاب:

- أنا اخترت ومستنيك توسعلي الطريق يا «حلمي».

قالها «هشام» مشيرًا إلى حبه لـ «ماجي»، ليجيبه «حلمي مهران»:

- أنا مفيش بيني وبين «ماجي» حاجه.

- مع إنها لسه قايلالك العكس.

علق «هشام» مشككًا، ليتابع «حلمي مهران»:

- مش ذنبي.

- غلطان، ذنبي وذنب «ماجي» في رقبتك يا «حلمي».

***

(04)

من خارج المخيم والليل قد أرخى ستاره جلست «جميلة» بجوار «سميحة» يرمقان «حاتم» لم يبرح مقعده أمام النيران بعد، بينما كانت «جميلة» مرتابة تقول:

- أنا قلبي مش مطمن للراجل ده، وحاسه إنه حرق التليفون قاصد!

لم تجب «سميحة» الشاردة المرتدية تلك السترة الزرقاء المميزة تحتمي بها من البرودة، لتكرر «جميلة» في سخط:

- هو انتي كمان اتخرستِي؟!

على مضض، تجيبها:

- وهو هايحرقه ليه بس يا «جميلة»؟! ده غلبان وزي ما انتي شايفه شبه مشلول!!

- وانتي مصدقه إنه مشلول؟ ده شكله وراه حاجه كبيره، بكره تشوفي!!

ترمق «سميحة» «حاتم» مندهشة حالما كان الأخير شاردًا في ملكوته كما يدعي، بينما ظهر للتو «سيف» مع «حبيب» في عودتهما قاطعين قدرًا لا بأس به من بطن هذه الجزيرة المعتمة، فيلمح «حبيب» السيدات عند خيمتهن فيتمعن النظر في «سميحة»، وحينها «سيف» أخذه الغضب كل مأخذ، فأنشأ يتمتم ويبرطم:

- أستغفر الله العظيم، أنا هادخل أصلي.

يظل «حبيب» منتصبًا بالخارج يراقب «سميحة»، قبل أن تصل بعدهم «هدى» إلى السيدات، لتقف «جميلة» مهتاجة على «هدى» فور وصولها!

- هو إيه اللي بيحصلنا بالظبط على الجزيره هنا؟!

- هو إيه اللي حصل؟!

أجابت «هدى» ببرود بينما يقترب منهما «حبيب» في فضول ليستمع إلى غضب «جميلة»:

- يا برودك يا شيخه! إحنا مش لسه دافنين قتيل؟!

- دي مجرد حادثه.

تقولها «جميلة» معترضة:

- واللي شوفناه؟!

تتساءل «جميلة» لتعلق «هدى» في خبث:

- شوفتي إيه بالظبط؟!!

تسكت «جميلة»، لتتدخل «سميحة» دون حرج:

- شوفنا كوابيسنا يا دكتوره.

يتدخل «حبيب» الذي بلغ باب خيمتهن مدافعًا عن «هدى»:

- طبيعي جدًّا يا جماعه من التوتر والتعب.

- هو التوتر المفروض يخليني أشوف....

كادت «جميلة» تفصح عما شاهدته، قبل أن تتدخل «سميحة» مرة ثانية، وهي تقول:

- أنا طول عمري بشوف إبني..

ترد «هدى»:

- إنتوا محتاجين تستريحوا، اليوم كان صعب وطويل.

تتعجب «جميلة» متسائلة:

- نستريح؟!!

- عندك حق يا دكتوره، عن إذنكوا أنا.

بأسلوبه المهذب يودعهم «حبيب» ويتجه إلى الشاطئ، لتتبع «هدى» نظرة «سميحة» له قبل أن تسأل عن «فرح»:

- هي «فرح» فين؟

- جوا.

تجيب «سميحة» وهي تراقب «حبيب» المتوجه إلى الشاطئ بجانب «حاتم»، لتعلق «هدى» بدهاء:

- طيب هاخش أطمن عليها، أكيد هي أكتر واحده محتاجاني النهارده.

لم يجيبا لتدخل «هدى»، بينما من بعدها تتوجه «جميلة» إلى «سميحة» بالحديث:

- يالا نخش معاها لاتعمل حاجه في «فرح «أنا مابقتش مطمنالها.

تسكت «سميحة» التي ظلت شاردة ناحية «حبيب» لتعقب «جميلة»:

- هو لطيف الصراحه، بس راجل، يعني مش هايتخير عن جوزك، كلهم أندال....

تقولها «جميلة» ثم تتركها لتتجه إلى خيمة السيدات حيث كانت «هدى» في الداخل تسأل «فرح» وهي تجلس أمامها:

- «فرح» إنتي كويسه؟

لم تجبها، لتخرج «هدى» حبوبًا تناولها «فرح» في لحظة دخول «جميلة»

- إنتي بتديها إيه بالظبط؟!!

تقف «هدى» في تحدٍّ أمامها:

- هو انتي ناسيه إني الدكتوره اللي اختارتوها عشان تعالجكوا ولّا إيه؟!

تتجه «فرح» ناحية «هدى» وتأخذ منها الدواء في رضا تام، لتحرج «جميلة «حالما تبتسم «هدى» لخضوع «فرح» المعتاد، قبل أن تتوجه الأخيرة إلى سريرها، لتعطيهم ظهرها، وبعد أن ألقت نظرة إليهم راحت تستجدي النوم ليأتي، عله يلم بفراشها إلمامًا؛ فتكتحل عيناها من السُّهاد مغمضةً!

بينما تمددت «هدى» من بين الظلام وهي مشعلة شمعة تقرأ على ضوئها الملفات الثمانية التي كانت في حقيبتها، بينما تراقبها «جميلة»، قبل أن ترتسم ابتسامتها لتطفئ الشمعة

أخيرًا.

من الخارج كانت «سميحة» عند الشاطئ تقترب ناحية «حبيب» في فضول.

- هو أنا ماشوفتكش قبل كده؟!

ينظر «حبيب» إليها مبتسمًا، لتتابع هي بحدسها الصادق:

- ملامحك مش غريبه عليا!!

- يخلق من الشبه أربعين.

- لأ، صعب ملامحك دي تتكرر...

تقولها ليبتسم «حبيب» لتحرج «سميحة» موضحة:

- قصدي إن ملامحك مريحه!

- إنتِي شايفه كده...؟!

- أنا مش شايفه، أنا حاسه.

تقولها «سميحة» وهي تضع يدها على قلبها، لتلامس أناملها غرز صدرها التجميلية التي لاحظها «حبيب» من أسفل سترتها الزرقاء تلاحظ من لمحة عينيه، فتغلق سترتها متسائلة:

- مقولتليش بقى حكايتك إيه؟!

- مش عايزه تسمعيها مع الناس؟!

بخجل تتساءل:

- ممكن أسمعها لوحدي الأول؟

- أكيد، أنا أصلًا نفسي أحكيهالك إنتي لوحدك.

بحب صادق قالها لتصل إليها كلماته.

- إشمعنى؟!

- معرفش يمكن عشان بتفكريني بيها..

يقولها «حبيب» شاردًا بحساسية ومشاعر فياضة لتلاحظ «سميحة» متسائلة في فضول:

- هي مين؟!!

يلتفت «حبيب» برأسه ليكشف بعينيه المكان.

- متأكده إنك تقدري تسمعي في الظروف دي؟!

باندهاش واضح:

- أنا شخصيًّا مستغربه أنا إزاي متماسكه، ومستغربه أكتر الفضول اللي عندك رغم اللي حصل!

- أنا كمان مستغرب، وعارف إنك مش هاتصدقيني.

- جرب.

- أصلي حاسس إني عايز أحكيلك إنتي كل حاجه في حياتي.

- هاتصدقني لو قلتلك إني مصدقاك، وعايزه أسمعك؟

صدقها قبل أن تكمل هي تساؤلها.

- هو انت مين؟!!

يبتسم «حبيب» ويبدأ:

- أنا «حبيب».

يقولها، لتبدأ قصة الحب تلك في الميلاد بكل صدق رغم كل المخاطر، فالحب كالجنين، لا يستطيع الانتظار فور اكتماله، بل يخرج للنور ولو كره الكارهون، فارضًا نفسه على العالم كالطفل البريء الذي أذن الله له في الحياة، ليعيش في الأرض بين العباد، كل منهم حسب عمره، يومًا أو بعض يوم، أو قد يكون محظوظًا ليستمر عقودًا عديدة، ولكنه في النهاية ينتهي مع توقف نبض كليهما، لينتظرا إذن الكريم لإعادة ما في قلبيهما من رحمة في عالم آخر.

من بعيد كان «حلمي مهران» يراقب هذا الحب الذي يولد مبتسمًا، فلقد كان يستشعر هذا الجنين بالفعل، قبل أن يتحول بنظره جهة «حاتم» المستلقي على الشاطئ ثم ناحية الخيمة، ليتقدم إليها قبل أن يتوقف بعد عدة خطوات حيث بدأ يحصي ستة من معارفه يظهرون من خلف الخيمة، إنهم تلك القلوب المحطمة، جاءت لتعاتبه في تلك الجزيرة، فلقد كان لكل منهم جنين جاء ليدافع عنه، «ماجي» و«هشام» و«حنان» و«وعد» و«فؤاد» و«حنان» و«تيم».

يظهرون ليبدأ حساب «حلمي مهران» الذي ظل حتى فجر يوم جديد، وسط سكون ليل الجزيرة، هذا الذي يشبه الموات التام مع نوم أغلبهم. ومن بين هدأة الليل وسكونه تدب حركة على

استحياء تخشى أن يفضحها هدوء الهاجعين، وكأنها خطوات لشخص ما يجوب المكان ليلًا بعد منام الجميع، مرورًا بخيمة الرجال التي لا يبدو فيها إلا «سيف» الآن!! ثم إلى خيمة السيدات، حيث ينام أربعتهم، قبل أن تَنْبِذَ لهم «سميحة» والتي فتحت عينيها، قبل قليل لتقوم بتحدٍّ جديد!!

***

من على تلك الجزيرة التي تئن ظلمًا مما أُرتُكب على ظهرها، تكفكف دموعها، وتتأهب ليوم جديد راضية بقدرها بينما كان دفينهم قد خرج من مرقده تحت ترابها لم يبرد دمه بعد، وروحه لا زالت في سمائها حضرت غربان سيئة الذكر تنقر روح المسكين المسالم هذا، خالقة فوضى عارمة وقت أن أشرق الصباح نابذًا عنه لباسه، وإذ انتشرت أول خيوط ضوئه هاهي جميلة بباب الخيمة خارجها تنادي «سميحة»:

- «سميحاااا»

قالتها وهي تبحث عنها، فقد اختفت ليلة أمس بينما كلٌّ في عالمه، لتقترب الآن «هدى» من «جميلة» في توتر متسائلة:

- لسه ملاقيتيهاش؟

- والله إنتي السبب في اللي بيجرالنا!

علقت «جميلة» كعادتها بينما من خلفهما ينتَبِذُ «حبيب» مرهقًا، يترنح يفرُك عينيه قد استيقظ للتو:

- في إيه؟ فين «سميحة»؟!

- معرفش، صحينا ملاقيناهاش.

- يعني إيه؟! هي مش كانت نايمه معاكوا؟!

تساءل «حبيب» لتجيبه «جميلة»:

- أيوه والله، بس صحينا ملاقينهاش.

يظهر التوتر الصادق على «هدى» التي غزاها التوتر، وعصفت بكيانها الحيرة، وهي ترى الأمور تخرج عن سيطرتها بالفعل لتقول:

- أكيد هاتبقى هنا ولّا هنا، دوروا كويس، هاتروح فين يعني؟!

ردت «جميلة» تنهرها في اللحظة التي وصل فيها «سيف» هو الآخر:

- ما كفايه أوامر بقى، يا وش المصايب!!

يتدخل «حبيب»:

- مش وقته الكلام ده دلوقتي.

- هو في إيه بالظبط؟ وفين «حاتم»؟!

يتساءل «سيف»، لتتساءل «هدى»:

- هو مش في الخيمه عندكوا؟!

- لأ «حاتم» مانمش معانا أصلًا.. ولا حتى «حلمي».

يقولها «حبيب» ليزداد توتر «هدى» مختلطًا أمرها:

- يعني إيه؟!



- معرفش، يمكن يكون اتحركوا سوا!

يقولها «حبيب» مجيبًا، ليتهكم «سيف»:

- يعني هايكونوا راحوا يفطروا برا؟!!

- طيب سألتوا «فرح» عن «سميحة»؟

يتساءل «حبيب»، لتصرح «جميلة»:

- ما هي ولا بتهش ولا بتنش!

- سيبوني أنا أسألها.

تقولها «هدى» وتتوجه إلى «فرح» داخل خيمة السيدات، ليلحقها «حبيب» مع «جميلة»، لتبدأ «هدى» أسئلتها:

- «فرح» أرجوكي تساعدينا، إنتي كنتي زمان بتكلميني... فاكره؟!

تومئ «فرح» بالإيجاب، فتسألها «هدى»:

- طيب لو سمحتي بقى قوليلي، إنتي شوفتي «سميحة»؟

مجددًا تومئ بالإيجاب، لتبتسم «هدى» وتكمل:

- حلو.. فين وإمتى بالظبط؟

هنا تسكت «فرح» لتنفعل «جميلة»:

- يا بنتي ما تنطقي بقى قبل ما «سميحة» تضيع!!!

تتوتر «فرح» وترتجف، لتوبخها «هدى»:

- إنتي بتعملي إيه؟!! لو سمحتوا سيبوني معاها لوحدي.

يخرجون لتكرر «هدى» محاولاتها، فيظهر توترها الحقيقي..

- يا «فرح» اتكلمي هو انتي اتخرستي بجد؟!

تقولها إذ تدفعها للخلف؛ الأمر الذي أدى إلى إعادة تشنجها، دون أن تكترث «هدى»، بينما من الخارج على الشاطئ وقد انشق النهار، قام «سيف» ينتظر أن يجتمع بهما، وحالما بلغ مجمعهما سأل:

- عرفتوا حاجه؟

- لأ.

نافية أجابت «جميلة»، فمتعجلًا يرد «حبيب»:

- إحنا لازم ندور عليهم، الجزيره كلها قد كده.

يشير محلقًا يده مشبهًا كحلقة دائرية، ليؤكد «سيف»:

- عندك حق مش هانخسر حاجه، كل واحد يدور في اتجاه.

- ماشي واستنني انتي يا «جميلة» هنا.

قالها حبيب، فردت:

- ليه يعني؟! هو أنا صغيرة؟!! ده أنا بميت راجل.

يبتسم إليها «سيف» باحترامٍ لاحظته، ثم تحرك خلف «حبيب» قبل أن يظهر للتو «حلمي مهران» من بعيد يقترب، فيبتدره «حبيب» متسائلًا:

- كنت فين؟!!

لم يجبه «حلمي مهران»، لتعقِّب «جميلة»:

- مش وقت طريقتك دي!

في هدوء يسأله «سيف»:

- «سميحة» و«حاتم» كانوا معاك؟

يقترب منه «حلمي مهران» ثم يصوب بصره إلى «حبيب» قائلًا:

- لأ.

يشعر «حبيب» بالتوتر فيتلعثم، بينما تسقط «جميلة» عليه سقوطًا مباشرًا:

- يا عم ما ترد علينا، إحنا مش لاقيين الناس.

- هايكونوا فين؟! الجزيره صغيره.

يقولها «حلمي مهران» خافيًا ما يعلم، ليتابع «سيف» متبرمًا:

- يا عم أنا هاروح أدور عليهم.

يرمق «حبيب» «حلمي مهران» في توتر، ثم يتبع «سيف»:

- أنا كمان هادور عليهم..

- وأنا كمان، أنا مش ناويه أستنى هنا.

تقولها «جميلة» وهي تُشَيِّع «حلمي مهران» بنظراتها القاتلة،

ثم تتحرك لتتبعهم، بينما يظل «حلمي مهران» يراقب تلك الخيمة للسيدات!

ليتجه إليها ويفتح الخيمة، ليجد «فرح» هناك وحيدة، فيتحرك ببطء من خلفها، قبل أن يلاحظ من خلفه أن هناك فتحة أخرى مفتوحة، فيدفعه الفضول للذهاب!

من هناك يظهر المكان خاليًا ولكنه يستطيع بالفعل رؤية الحركة التي كانت منذ قليل فيتبعها، فلقد كانت هي «هدى» تتحرك في عمق الجزيرة المملوءة بالوقائع، التي يستجمعها «حلمي مهران» الذي ما انفك يتبع رؤيا مهزوزة نوعًا ما، حتى وصل إلى هذه البقعة التي كانت فيها «هدى» تقف بتوتر تبحث عن الموضع الذي خبأت فيه هاتفًا آخر!! لتتأكد من خلو المكان من جمعهم، غير منتبهة إلى «حلمي مهران» الذي أعطته بصيرته القدرة على الرؤية رغم بعده عنها، لتجثو «هدى» أرضًا وتخرج الهاتف وتنفضه، قبل أن تجري اتصالًا بـ «أشرف» الذي كان يتحرك باليخت يمخر البحر رفقًا رفقًا، وصوت محركه مع صوت الماء يتتابعان دواليك متناغمين عزفًا، وهو يلقي نظرة إلى هاتفه ليجيب مندهشًا من قلق «هدى» البالغ من أمام عين «حلمي مهران» المتواري عن الأنظار وإن ظل يراقبها.

- أيوه يا «أشرف» هو انت شوفت «سميحة»؟

من المركب يجيبها «أشرف»:

- وأنا هاشوف «سميحة» فين؟!! أنا جيت بعد الفجر على

اتفاقنا، أخدت حاجتي ومشيت.

- يعني إيه؟! دي اختفت من على الجزيره، «حلمي مهران» و«حاتم» كمان مش موجودين.

- إزاي يعني؟! هو في حد غيرنا بيلعب بينا ولّا إيه؟!!

يقولها «أشرف» مندهشًا مثبورًا:

- أنا محدش يقدر يلعب بيا يا «أشرف».

تجيب «هدى» بقوتها المعهودة التي تثير حفيظة «حلمي مهران» قبل أن تتابع:

- أنا من الأول مكنتش مستريحه للمرا دي، مش انت اللي قلت محتاجه تجربه أخيره؟...

- أيوه، كان المفروض المرا دي كل حاجه تمشي صح، بس في حاجه غلط..

- لأ، بقولك إيه اهدي كده إحنا هانكمل شغلنا زي ما اتفقنا، إنتي تشوفي تجاربك وأنا أشوف أكل عيشي!

- حاضر يا «أشرف» أنا بس مش عارفه أفكر.

تقولها «هدى» قبل أن تسمع صوت شيء ما خلفها، لتلتفت فإذا بها «فرح» تنظر إلى هاتفها في اندهاش بعدما ادَّعت «هدى» أن الهاتف الوحيد قد احترق! لتغلق «هدى» الهاتف بسرعة كمن ضُبِطَ متلبِّسًا، بينما من على اليخت تعجب «أشرف» من انقطاع الخط، ليضع الهاتف في جيبه، ثم استدار ليتفاجأ بوجودها أمامه، نعم، إنها بالفعل «سميحة»!!

***



(05)

لا يزال الجميع تحت سقف تلك الجزيرة التي يعمها الجنون، فها هو «سيف» يرمق قبر «عاصي» مندهشًا مما رآه، بينما «جميلة» قد وجدت تلك السترة الزرقاء على الشاطئ، و»حبيب» من الجانب الآخر يلفت انتباهه تلك الدراجة الصدئة التي كان يراها «حاتم»، ليتفقدها لحظات، قبل أن يجد من على بعد عدة خطوات «حاتم» منبطحًا على وجهه مبللًا بالمياه، فيدع الدراجة مقتربًا منه ليدير وجهه ليجده معفرًا ملطخًا بالدماء والرغام، بينما «حلمي مهران» لا يزال يراقب ما حدث، فما برحت «فرح» متسمرة في مكانها، و«هدى» تحاول الاقتراب منها، إذ تقول:

- أنا الحمد لله لقيت تليفون تاني واتصلت بـ «أشرف» وهايجي يا «فرح» ماتخافيش... صدقيني يا «فرح».

لم تصدقها «فرح» بالطبع، لتبدأ في الركض، لتضع «هدى» الهاتف في مخبئه ثم تحاول الركض خلف «فرح» لتوقفها، بينما «حلمي مهران» في الخلفية يتابع هذه الأحداث، ليستغل الموقف ويتجه إلى هذا المخبأ ليخرج الهاتف مبتسمًا، تاركًا «هدى» تحاول اتباع «فرح» التي كان الركض هوايتها الرياضية، ليظهر فرق السرعة الرهيب، حيث تحاول «هدى» يائسة اللحاق بها دون جدوى لتمسك قطعة من الحجر لتحاول رميها على «فرح» التي بدت قدماها تتبادلان الخطى، فمن تقارب إلى تباعد أخذتا تتسارعان، تعلوان وتهبطان فوق الحشائش وعوائق الجزيرة من أغصان شجر وطين! لحظات

رياضية خاطفة ذكرت هذه المرأة الرياضية الآن بما كان منها من قبل، من بطولات خارقة بصالة التدريب، حتى وصلت «فرح» أخيرًا إلى الشاطئ حيث كان «سيف» قد عاد لتوه من عند قبر «عاصي» متبرمًا قبل أن يلاحظ «فرح» التي جاءت تهرع ناحيته مفزوعة والدماء تسيل من وجهها أثر إصابة ما، فيهرع إليها هو الآخر في شهامة، آخذًا بها لتظل هي في تشنجها، بينما من الخلف وصلت «هدى»، لينتبه لها فيجذب «فرح» من ملابسها لتحتمي خلفه ويقترب هو بخطوة جريئة ناحية «هدى» التي توقفت من فورها وألقت الصخرة التي بيدها، لتلتقط أنفاسها بصعوبة لتقول:

- أنا ....أنا كنت بدور على «سميحة»، وبعدين «فرح» خافت وجريت.. صح يا «فرح»؟

ظلت «فرح» ساكنة، لتتابع «هدى» في خوف:

- أنا ملمستهاش والله العظيم، هي أكيد وقعت.. ما تتكلمي يا «فرح»!!

لم تنبس «فرح» ببنت شفة، بل اكتفت بالإمساك بجرح رأسها والإشارة إلى «هدى»، ليكتفي هو بتلك الإشارة ويباغت الأخرى مقتربًا منها وهو يَهِمُّ بها، ليقد «هدى» من فوره، بينما ظلت هي تقسم أنها لم تصب «فرح» وأنها من جرحت نفسها لتخدعه، إلا أن «سيف» صدق براءة «فرح» عن شر «هدى».

من بعيد تظهر «جميلة» وهي عائدة ممسكة بسترة «سميحة» الزرقاء في ألم حتى وصلت إلى «سيف»، فأصابها

الوجوم مما شاهدته لتتساءل:

- هي عملت إيه بالظبط بنت اللذينه دي؟!

قالتها بالتفاتة عاجلة إلى الوراء حيث كانت الدكتورة «هدى» مقيدة أرضًا بحبل متين، تدل على قوة «سيف» لتقول:

- فكوني أنا معملتش حاجه أصلًا بقولكواا...

- اسكتي خالص، إنتي أصلًا سبب كل المصايب دي!

تقولها «جميلة» فيعلق «سيف»:

- أنا معرفش بالظبط، «فرح» مش عايزه تتكلم، بس أديكي شايفاها..

تنظر «جميلة» إلى «فرح» المصابة، قد وضع «سيف» قماشة على جرحها، لتتساءل:

- وهو مين اللي داوى جرحها كده؟!

- أنا.

بحرج يقولها «سيف» وينظر أرضًا خجلًا، بينما تبتسم له «جميلة» قبل أن يلاحظ هو سترة «سميحة» التي بيدها، فيدنو منها، بينما تستمتع هي بقربه بطريقة مفاجئة، فقد بدأت تدغدغها حرارة أنفاسه، وليمسك «سيف» بالسترة متسائلًا..

- غرقت؟!!

تومئ له «جميلة» بالإيجاب، لتتدخل «هدى» شامتة:

- زي ما كلكوا هاتغرقوا من غيري لو مافكيتونيش.



- كله منها، منك لله يا شيخه.

قالتها «جميلة» وهي تدنو من «هدى» المقيدة منتهرةً إياها، ليتدخل «سيف» ممسكًا إياها، لتنهره هو الآخر عائدة إلى طبيعتها الانفعالية:

- إوعى تلمسني، إنت مجنون!!!

- أنا آسف..

يقولها «سيف» قبل أن يلاحظ «حبيب»، يقترب حاملًا «حاتم» ليسرع إليه في اندهاش مع «جميلة»، يساند «سيف» «حبيب» الذي أرهقه وزن «حاتم» ليجلس به من فوره، وهو يسأل:

- حصل إيه؟!

- معرفش، لقيته زي ما انت شايف كده، في وسط الميه!

- ده سايح في دمه!

قالتها «جميلة» ليقترب «سيف» من «حاتم»، متفقدًا جرحه، ليجدها مجرد كدمة فحسب، ليزدجر «سيف»:

- بس صعب يكون كل ده دمه!

تتدخل «جميلة» وقد تفتق ذهنها عن مؤامرة:

- يبقى أكيد عمل حاجه في «سميحة» وهو اللي غرقها.

تقولها لينتبه «حبيب» إلى سترة «سميحة» بيد «جميلة»، فيأخذها ظاهرًا الألم، بينما كانت هي الآن في مقصورة اليخت

بجانب «أشرف» الذي يقيدها بجانبها في ثبات.

من بطن الجزيرة وما حوله مكشوفًا تمامًا تحت إنارة الشمس المُبهرة، أنهى للتو «حلمي مهران» اتصالًا هاتفيًا مبتسمًا ثم أغلق الهاتف ليخبئه في نفس المكان، ثم تحرك عائدًا إلى الشاطئ حيث كانوا لا يزالون هناك بجانب «حاتم» وقد داووا جرحه، حال «فرح» ليجلسا الآن بجانب بعضهما البعض، بينما كانت «هدى» مقيدة في جانب آخر، بينما ظل «سيف» و«جميلة» يتجادلان مع «حبيب» حول تقييدها، ليقول «حبيب» بعقلانية:

- يا جماعه، وهو مال الدكتوره «هدى»؟! ما كلنا عارفين المخاطر دي، وبعدين «عاصي» و«سميحة» ماتوا لوحدهم محدش عملهم حاجه!

- والدم اللي على «حاتم» ده؟!

تساءلت «جميلة» ليجيب «حلمي مهران»:

- ده مش دم «سميحة».

تلتفت «جميلة» لتجده «حلمي مهران» قد ظهر فجأة، لينهره «سيف» في ضيق:

- إنت شرفت؟!

تتدخل «جميلة» متشككة:

- وانت إشعرفك؟! وكنت فين أصلًا ده كله؟!

يقاطع حديثهم «حاتم» يكمل في جنون:

- قلتلكوا كان في مركب هنا.. دي شغلتي.

يعود «سيف» بالحديث إلى «حاتم»:

- يعني انت شوفتها بنفسك، ولَّا بتتخيل برضو؟!

- يا بني أنا مش لازم أشوف المركب عشان أعرف إنها موجوده.

يقولها «حاتم» بثقة، لترد «جميلة»:

- ده مجنون، وده دم «سميحة» اللي عليه.

يتدخل «حلمي مهران» مرة أخرى جازمًا:

- قلتلك لأ...

تلتف «جميلة» ولما تصل إلى اليقين بعد:

- أومال دم مين؟!

- دمي!!

يقولها «حلمي مهران» وهو يرفع قميصه، ليجد جرحًا كبيرًا مضمدًا، لتتراجع عمّا عَنَّ لها وبدا، بينما يعود «حلمي مهران» إلى ما حدث أمس بشاطئ الجزيرة الذي يحوي ألوانًا من العجائب، حيث كان «حاتم» يتحرك خلف شيء ما حتى انتبه لوجود يخت، فكاد يصرخ مهللًا، إلا أن «حلمي مهران» أسرع وأوقعه أرضًا مطبقًا بمقعدته على صدره واضعًا يده على فمه، ليظل يرمق هو يخت «أشرف» مغادرًا الجزيرة، هذا ما شاهده «حلمي مهران» أمس وإن كان سينكره الآن، بينما هو جالس

و«سيف» بجانبه يداوي الجرح، ليبدأ «حلمي مهران» كذبه قائلًا:

- كان متهيأ له إن في مركب في البحر، وكان عايز يمشي وراها وكان هايغرق.

يندهش «سيف» متسائلًا:

- وهو كان في مركب فعلًا؟!

يلمح «حلمي مهران» «حاتم» وهو يجيب:

- لأ مكنش في حاجه، كان مجرد وهم.

ليؤكد «حبيب» للتو حديثه:

- وهو إيه اللي هايجيب مركب هنا فعلًا من غير ما نحس بيها؟!

تساءل «حبيب»، فغامزًا أجابه «حاتم»:

- إنت أدرى يا دكتور.

- إنتوا مش فاهمين أي حاجه، إنتوا لازم تفكوني.

تقولها «هدى» ليتحرك ناحيتها «حلمي مهران» قائلًا:

- أعتقد تكتيفك هنا ممكن يكون الفكره الصح الوحيده على الجزيره دي.

- لأ طبعًا...

قالها «حبيب» مقتربًا من «هدى» في عزم ليفك قيودها،

فيمسكه «سيف» ويخاطبه مُتشكِّكًا:

- هو انت معاها ولّا إيه يا «حبيب»؟!

يتراجع «حبيب» عن دفاعه من فوره قائلًا:

- يا عم خلاص اعملوا اللي تعملوه.

- أنا مابقتش واثق في حد!

مرتابًا يقولها «سيف» قبل أن تعقب «جميلة»:

- إحنا لازم نفتش في حاجة «هدى»، لاحسن تكون مخبيالنا حاجه تانيه!

- عندك حق.

يتوجهون إلى خيمة السيدات، لتظل «جميلة» تبحث عن حقيبة «هدى» لتجدها قد اختفت، فتتوتر من أمام «سيف» و«حبيب» قائلة:

- أنا متأكده إنها كانت ماسكه ورق إمبارح!

يتساءل «سيف» كمن خَبطَهُ أو مسَّه عِفرِيت:

- هيكون راح فين يعني؟!!

- وأنا اشعرفني؟! شنطتها كلها مش موجوده.

يتوتر الجميع، وتخرج «جميلة» من الخيمة وفي عقبها «سيف» يرمق «حبيب» و«حلمي مهران» بشك، بينما ترمقهم «فرح» الجالسة بجانب القبطان «حاتم» في انسجام واستئناس، بينما «حلمي مهران» قائم في صمت كعادتهم

جميعًا، وهم يراقبون توجه «جميلة» إلى «هدى» المقيدة، لتتساءل:

- وديتي شنطتك فين؟!!

بأريحية تجيب «هدى»:

- يعني إيه؟! ما هي عندك في الخيمه!!

- مفيش حاجه، إحنا فتشناها كويس.

يقولها «سيف» لتجيبه هي:

- يبقى في حد منكوا ورا كل اللي بيحصل ده، وهاتقعوا واحد ورا التاني..

قالتها «هدى» بخبث، لينظر كل منهم إلى الآخر، قبل أن يتذكر «سيف» قبر «عاصي» الذي شاهد ما فيه من تلف، ليقول في تردد:

- هو في حاجه كمان ممكن تكون اختفت من على الجزيره؟...

ينظر الجميع إلى بعضهم وكأنهم يراجعون عددهم في ترقب!! بينما من بعيد يبتسم «حلمي مهران» الذي كان يعلم بالتحديد ما فقد بالأمس القريب.

***

من أمام قبر «عاصي» بقلب الجزيرة وفي وضح النهار يقف الجميع، بعدما أنهوا حفرة، ليظهر القبر أمام ناظريهم خاليًا.

- فعلًا جثة «عاصي» اختفت!

يبتسم «حلمي مهران» مرة ثانية، ليتساءل «سيف»:

- يعني إيه، الميت صحي؟!

- في حاجه غلط على الجزيرة دي!....

قالتها «جميلة» ليُفَنِّدَ قولها «حلمي مهران» قائلًا:

- مش في الجزيره، الغلط فينا إحنا.

- ممكن مايكنش مات أصلًا...

يقولها «سيف» ليعترض «حبيب»:

- لأ طبعًا، أنا اتأكدت بنفسي، أنا دكتور على فكره.

- دكتور إيه بالظبط؟!

يتساءل «حلمي مهران» ليحرجه، فيمتنع «حبيب» عن الإجابة.

- يمكن فعلًا في حد جه بمركب زي ما «حاتم» ما بيقول.

علق «سيف» ليستخفه «حبيب» قائلًا:

- إنت هاتصدق الراجل المخبول ده؟!

يقذف «حلمي مهران» «حبيب» ببصره، مؤكدًا:

- فعلًا مكنش في مركب.. دي كانت تهيؤات!

يقولها مسترجعًا من عمق خياله السحيق متذكرًا قدوم اليخت

بالفعل، ولكنه لا يزال ينكر!

- طب هانعمل إيه دلوقتي؟!

تساءلت «جميلة»، فأجاب معقبًا «حبيب»:

- معرفش، بسماينفعش نسيب بعض لغاية ما نفهم.

- ما إحنا سايبين «فرح» و«حاتم».

يقولها «سيف» قبل أن يحذرهم «حلمي مهران» هو الآخر قائلًا:

- أنا كمان هاسيبكوا.

يعلق «حبيب» بلا رضا:

- براحتك، إحنا مش واقفين عليك.

- إنت أصلًا شكلك براوي، وكمان «حاتم» ده أنا مش مستريحاله.

تعلق «جميلة» ليعترض «سيف»:

- يا سيتي ده راجل كبير زي قلته، وبعدين ليه ماتبقاش «سميحة» هي اللي ورا الكلام ده؟ إحنا مش متأكدين إنها ماتت، ممكن تكون بتعملنا حاجه.

قالها «سيف» ليتذكر «حلمي مهران» من فوره ما حدث فجر أمس، حين أبصر «سميحة» تنظر مشدوهةً إلى الجزيرة قبل أن تتجه لركوب اليخت بجانب «أشرف».

- وهي «سميحة» هاتعمل إيه؟ وليه؟

قالها «حبيب» متسائلًا، ليعلق «سيف»:

- ما يمكن بعد ما ابنها مات..

يتدخل «حبيب» مقاطعًا إياه في شدة وتأثر:

- قبل ما تكمل... ما أنا إبني مات في بطن أمه، ومراتي كمان ماتت بعده، شايفني ماشي بقتل في الناس؟!

تعلق «جميلة «بحس أوميٍّ كالتي تسكت أطفالًا قائلة:

- كفايه خناق انتوا الاتنين ويالا نرجع، أنا خايفه على «فرح».

يتحرك ثلاثتهم مغادرين، بينما يظل «حلمي مهران» واقفًا عند قبر «عاصي» قبل أن يشعر بشيء ما ليعود بعقله إلى الأمس المنصرم، عندما كان واقفًا في عمق الجزيرة وكل خيالاته حول «وعد» و«فؤاد» و«ماجي» و«هشام» و«حنان» و«تيم»، بينما كانوا يقتربون منه في شكل دائري ويهرب عنهم إلى الشاطئ، فيجد هناك «حاتم» يقف خلف ذلك المركب البعيد يرصده مراقبًا ليتبعه بخطواته البطيئة قبل أن يلاحظ «حاتم» شيئًا ما فيهجم عليه «حلمي مهران» ليكتم السر.

يعود «حلمي مهران» من ذاكرته، ثم يتحرك تاركًا القبر مفتوحًا قبل أن يظهر بالمكان من بعده «حاتم» الذي يتوقف عند القبر المفتوح مبتسمًا متذكرًا ما قاله للدكتورة مسبقًا...

«أنا مش عايز أتعالج يا دكتوره، أنا عايز أموت، وعشان كده هساعدك وهاجي، لأن أكيد أحلى موته هاتبقى موتة البحر!»

يترك «حلمي مهران» «حاتم» ويغادر المكان، خطوة تلو الأخرى مبتعدًا بينما النهار فرض سطوته، وحمي بأسه على الجزيرة المستسلمة فانطرحت فاغرة فاها، قبل أن يستوقفه «تيم»:

- على فين يا «حلمي»؟! نفسي أعرف جايب الأنانيه دي منين!

- أنا مش أناني.

- لأ أناني يا «حلمي» خدت مني «أمنية» زمان والنهارده بتاخد مني «حنان».

قالها «تيم»، ثم اقترب متابعًا متذكرًا «أمنية»، تلك الصحفية التي أحبها قبل «حنان» وتعلقت بـ «حلمي مهران» هي الأخرى لتدفع الثمن غاليًا:

- ويا ريتك خليت حد منهم سعيد، أهي «أمنية»، ولو مسبتش «حنان» أكيد هاتحصلها!

- أنا مأذتش «أمنية» دي كانت حب حياتي.

أجاب «حلمي مهران» مدافعًا عن نفسه.

- بس معرفتش تحميها، سيبلي «حنان» يا «حلمي» قبل فوات الأوان، إنت فيروس ملوش علاج!

- ما أنا هنا قدامك بحاول أتعالج.

- تحاول إيه؟!

- ده انت حتى مش راضي تبلغ عن مكانك هنا، مستني إيه؟!

قالها «تيم» الذي علم بما فعله «حلمي مهران»، فلم يبلغ عن مكان الجزيرة بالفعل لشيء ما في نفسه، فلقد كان كبرياؤه يمنعه عن طلب المساعدة حتى عند احتياجها، ليجيب:

- مستني أعرف الحقيقه.

- تعرف الحقيقه برضه ولّا مبسوط بوجودنا كلنا هنا حواليك!

يقترب «تيم» إلى «حلمي مهران»:

- مع إنك مش محتاج المكان ده عشان تشوفنا، إحنا كلنا جوا دماغك، مش قلتلك أناني..!

يرفع «حلمي مهران» رأسه بعد تنكيسه، فيبدو متصببًا عرقًا، ليظلَّ وحيدًا مكسورًا، لتلمحه «فرح» التي كانت الآن تركض من جانبه، تحاول نسيان همها كعادتها لتتعداه ويرمق كل منهما الآخر، ثم تكمل هي إلى عمق الجزيرة مستمعة إلى موسيقاها، مضيفة إلى صحو الشمس بهاءً، حتى وصلت إلى قبر «عاصي» التي كانت قبعة «حاتم» ملقاة إلى جانبه، قبل أن تتفاجأ من هول ما رأت داخل القبر!

***

(06)

من خارج المخيم والنهار قد اعتمل أثره كان البقية الآن يتساءلون عن الغائبين:

- هي فين «فرح»؟

قالتها «جميلة» من خارج المخيم والنهار قد اعتمل أثره، ليجيبها «سيف» من جانب «حبيب»:

- وفين «حلمي» و»حاتم»؟!

- هو إيه نظام عسكر وحرامية ده؟! أنا زهقت!

علقت «جميلة» بتنافر، ليتابع «سيف» هو الآخر:

- وأنا كمان زهقت، أنا هاروح أعمل حاجه آكلها.

تحرك «سيف» ناحية منطقة الطعام، بينما ظل «حبيب» واقفًا، لتختار «جميلة» اللحاق بـ»سيف».

- أنا هاجي معاك يا «سيف».

يتسمَّر «سيف» مبتسمًا للحظات، عقبها يتحرَّك معها، بينما ظل «حبيب» صامتًا قبل أن يستدير صوبَ عمق الجزيرة مجددًا، قلقًا على «فرح» التي كانت لا تزال عند قبر «عاصي» مندهشة مما رأت، فقد كان القبر مفتوحًا ببطن الجزيرة يحتضن جنينًا، وكان هذا الجنين «حاتم» الذي دفن نفسه داخل القبر بصعوبة مستلقيًا داخل القبر، ينظر إلى أعلى مبتسمًا، إذ لا تزال هي تحاول فهم ما يقول:

- ماتستغربيش يا «فرح»، أنا بس كان نفسي أجرب إحساس الموت، كان نفسي أعرف اللي بيموت ويتدفن جوا قبره بيحصله إيه!

يقولها ثم يشير إلى عجزه الذي منعه من إنهاء دفنه سويًا ليتابع:

- بس زي ما انتي شايفة كنت عاجز حتى عن دفن نفسي!

تظل «فرح» ترمق «حاتم» قد بدت عطوفةً، لتجثو هي كي تنصت إلى حديثه جيدًا، ليبتسم فرحًا وهو ينظر إلى السماء!

- أنا مجيتش هنا عشان أرجع يا «فرح».

يقولها قبل أن يعيد نظره إليها ليجد «حبيب» خلفها، يقول:

- كمل وقفت ليه؟ إحكي عشان ترتاح.

يرمقه «حاتم» بشك، ثم يقول:

- عمر ما ضميري هايرتاح، أنا محتاج اللي يساعدني ويريحني.

يقولها قبل أن يجثو «حبيب» على ركبتيه، مادًّا يده إلى «حاتم» الذي يلحظ كفه، قبل أن يمسك بها مبتسمًا، حال ابتسامة «جميلة» الآن التي تبتسمها إلى «سيف» وهي تساعده على الطعام.

- سبحان الله.. ماكنتش أتخيل إني أقف مع راجل في المطبخ!

- ليه يعني؟

يتساءل «سيف» محرجًا فتتوتر «جميلة» التي تذكرت عقدتها، قبل أن تعلق هاربة:

- إنت مختلف.

يلتف إليها ليقول بشيء من الحدة:

- مش يمكن اختلافي ده يخوفك؟!

- ليه بتقول كده؟ ده إنت حتى شكلك عارف كلام ربنا!

- وهو انتي تعرفي كلام ربنا؟!

يقولها وهو يدنو منها، لتتوتر «جميلة»:

- مالك يا «سيف»؟ ماتخوفنيش منك، أنا ما صدقت اطمنت لحد!

برهبة قالتها قبل أن يبرز لهما «حبيب» عائدًا:

- في حاجه؟!

يعتدل «سيف» قائمًا ليلتفت، فإذا بـ «حبيب» يتوسط «حاتم» و«فرح»، ليرمق ثلاثتهم قبل أن تتهكم بهم «جميلة»:

- إنتوا شرفتوا!!

***

من على بعد عدة كيلومترات من داخل هذا الكوخ الذي بدا وكأنه مركز لتجميع إمدادات الطاقة النظيفة، ينعم بالدفء

والسكون، كان «أشرف» خارجه جالسًا على كرسي هزاز يشرب زجاجة كحولية، يحدُّ بصره إلى اليخت المصفوف على اللسان الخشبي خلف الدراجة المائية الصغيرة، حيث تقف «سميحة» داخل اليخت في حيرة، تشعر بغضب مكبوت، حيث كاد قلبها ينفجر من هول دقاته الساخطة عليها، وكأنها على صفيح ساخن، كل ما تحتاجه هو بروده تلك لتبتسم وتستسلم إليها لتقفز فجأة في المياه، من أمام عين «أشرف» المذهول.

***

من عند المخيم إذ كانت تتأهب الشمس للارتحال وسال شفقها الأحمر يملأ الأفق، وصل «حلمي مهران» الذي ظل يرمق الجميع وهم منشغلون بالطعام فيترك كل منهم ويتجه بنظره إلى «هدى» المقيدة وهي مصطبغة بالتأمل فيما حولها، وكأنها كانت مخططة مسبقًا لكل ما يجري، ليقترب إليها «حلمي مهران» منها بينما كانت هي الآن شاردة في ذكرى لها كادت بالفعل تنكشف إلى «حلمي مهران» الذي شاركها الذكرى لتوه، رجوعًا بعجلة الزمن القهقرى إلى الوراء، في إحدى محاضراتها بكلية الطب حيث كانت «هدى» أمام طلابها تحاضرهم في جرأة، لتستمع إلى اعتراض أحدهم حين قال:

- بس يا دكتور الكلام ده صعب!!

ابتسمت «هدى» لتعلق على كلام الطالب الماثل أمامها بقناعته مجادلًا، وعن رأيه مُنافِحًا:

- ما هو ده الفرق بينا وبين الكليات الأدبية اللي بتدرس علم

نفس، إحنا دكاتره، دورنا نعالج بالأدويه مش بالطبطبه، المرض النفسي زي العضوي بالظبط، لازم يتداوى.

يتابع الطالب مستشكلًا:

- بس مواد الأدوية اللي حضرتك بتقوليها دي صعب جدًّا تتجرب!!

تقترب «هدى» تقارعه الحجة بالحجة، طالبةً منه تعليلًا:

- ليه يا دكتور؟!

- لأن المريض النفسي مش هايقدر يوصلنا إجابات كافيه، إحنا كده محتاجين فيران تجارب.

بذا ألقى إليها تلميذها النجيب الطُّعم في مصيدة المناظرة، فكان أن فاجأته، بما كان حدسه يشير إليه في هذه الدكتورة العجيبة، حيث قالت:

- وهو إيه يعني لما مجموعه تضحي عشان الباقي يستفيد؟!!

تخترق تلك الجملة مسامع «حلمي مهران» الآن المتوقف أمام «هدى» يشاركها ذكراها، لتبتسم «هدى» إليه عندما شعرت به داخل عقلها لتحاول منعه، بينما السماء في معمعة الغروب ولكنه استطاع الإنصات إلى ما كان داخل عقلها الحبيس حين تابعت في المحاضرة قائلة:

- سجن «أوبتيك» برافو، إنتوا عارفين يا دكاتره سجن «بان أوبتيك» ده كان عباره عن إيه؟

لم يجب أحد في تلك المحاضرة، فتواصل هي كشف عقيدتها المريضة قائلة:

- للي مايعرفش، ده كان سجن بتبقى كل زنزانه فيه مكشوفه قدام حارس واحد بس بيراقب كل المسجونين، واللي اخترعه كان الفيلسوف «بنثام».

- ده صاحب نظرية المنفعة!

علق «أشرف» الذي كان من بين الطلاب حينها، لتبتسم «هدى»:

- بالظبط كده يا «أشرف»، برافو عليك، شكلك هاتطلع بتفهم في المنفعة الكلية.

يبتسم «أشرف» الذي كان قد تعلم الدرس من وسط الطلاب، قبل أن تعود «هدى» الآن من شرودها، أمام «حلمي مهران» الذي ترك أفكارها متعرية أمامه، ثم بدأ يبتعد عن عينيها في عمق الجزيرة التي هبط عليها الليل فغشّاها ما غشّى، لتجد «هدى» الآن من أمامها «حبيب» يقترب ليجثو على ركبتيه ممسكًا بطبق للطعام.

- يا دكتور أنا جبت لحضرتك الأكل، وماتخافيش بكره إن شاء الله بقى هاقنعهم يفكوكي.

تبتسم «هدى» بثقة لتقول بهدوء مريض:

- ده لو عاشوا لبكره..

***



من داخل الكوخ ليلًا، حيث المزيد من الخصوصية، ينبري «أشرف» وهو يقوم بتغطية «سميحة» المبللة ترتعش أعضاؤها ارتعاشًا متواصلًا، قبل أن يوجّه إليها الحديث معاتبًا:

- أنا لولا التعليمات اللي عندي كنت سيبتك تغرقي.

- يا ريتك سيبتني...

يجلس «أشرف» يحاول تهدئتها:

- ليه يا «سميحة»؟ ما أنا فهمتك كل حاجه...

- وهو في إيه من اللي حكيتهولي يتفهم؟!!

تتغير لهجته لتصبح أكثر حدة:

- بلاش عند وغباء وماتضيعيش كل حاجه يا «سميحة»، إنتي ربنا كتبلك عمر جديد، بدل المره اتنين.

يقولها مشيرًا إلى سبابته والوسطى، يتابع:

- وأنا أكتر واحد عارف إن عشان ناس تعيش لازم ناس تانيه تموت....

مشيرًا إلى قلبها يقولها، لتضغط «سميحة» على غرز صدرها في ضعف.

***

من عمق الجزيرة في جوف الليل، وقد ادلهمّ وحضر سواده، يظل «حلمي مهران» قائمًا أمام ظل ما، وقد أخذته الدهشة قبل أن يقترب إليه دون أن تبدو كامل تفاصيله بعد، ليقترب شيئًا

فشيئًا، حتى بدأ وجهها يظهر مع ضوء القمر المكسور:

- «أمنية»؟!

قالها «حلمي مهران» وهو يقترب من بنت أفكاره البكرية، حيث كانت «أمنية» تتمتع بملامح أوروبية نادرة، فهي رشيقة، طويلة القوام بخصر نحيل، بيضاء البشرة، وردية الخدود، مرسومة الحواجب التي تحرس عينيها الجميلتين.

- مستغرب ليه يا «حلمي»؟!

- بالعكس أنا جيت هنا عشان أشوفك.

صادقًا أجابها قبل أن تعلق:

- كلنا قلنالك إنك مش محتاج تيجي هنا عشان تشوفنا، مخك كفايه!

مشيرة إلى ندبة جبهته قالتها، ليجيب نافيًا:

- إنتِي بالذات لأ، إنتِي مجيتك دايمًا عزيزه.

بحب لا يخلو من غيرة علقت «أمنية»:

- عشان تنساني يا «حلمي»، ما انت حبايبك كتير، وخلاص مابقتش محتاجني.

- بالعكس، أنا مش محتاج غيرك يا «أمنية»، دورت عليكي في كل اللي حواليا، بس للأسف ملقتكيش.

- مفيش حد بيتكرر، بس ده مش معناه إن الدنيا بتقف على حد، أنا خلصت رسالتي، بس انت لسه مخلصتش رسالتك.

ينظر «حلمي مهران» أرضًا:

- يا ريتني أنا اللي مت يا «أمنية»!

تبتسم له متسائلة:

- ومين قال إني مت يا «حلمي»؟!!

- يعني إيه؟! أنا شوفتك بنفسي!

- شوفتني ولا اتخيلتني يا «حلمي» جوا مخك؟!

قالتها لتزيد من شكوك «حلمي مهران»، فلقد كانت تلك رؤيته بالفعل التي اعتبرها صادقة، ولكنه بات مؤخرًا يشك في صدق رؤياه، ليعود هو بذكراه إليها حين رمق «أمنية» في تلك المدينة الصغيرة القريبة من «زيورخ» بـ «سويسرا»، حيث كان المشهد نهارًا، وإن كان مخيفًا، لم يفهم «حلمي مهران» حينها ما الذي جلبه هنا، ولكن «أمنية» كانت هناك! تخرج مهرولة، ليبتسم إليها «حلمي مهران» في سعادة قبل أن يلاحظ «جون» هناك عند أول الشارع ينتظرها، ليحاول «حلمي مهران» جاهدًا تنبيهها، إلا أنه كان مجرد «طيف» لا حول له ولا قوة، لتتحرك «أمنية» كالريشة إلى مصيرها، لتجد «جون» هناك مبتسمًا وهو يغرز في قلبها المسكين هذا الخنجر، لتقع «أمنية» أرضًا في هذا المكان الغريب، شاعرةً بتلك البرودة والوحدة، قبل أن ترى هي طيف «حلمي مهران» فلقد باتت صاحبة بصيرة في لحظاتها الأخيرة، ليدنو هو منها جاثيًا على ركبته، ليلاحظ أنها تراه بعين ثالثة لتضحك هي قائلة:

- كان عندك حق يا «حلمي».

- «أمنية» إوعي تمشي يا «أمنية».

يتذكر للتو «حلمي مهران» ضحكتها حينها، وقالت في هدوء:

- ده مشهد في خيالك يا «حلمي» ماتخافش.

يرتعش بدن «حلمي مهران» بعدما زادت شكوكه حول مقتل «أمنية» في أحداث قضية 3110 التي كان هو بطلها، ليكتشف أنه لا يزال يجهل الكثير، بينما لا يزال خيال «أمنية» متوقفًا أمامه ليقول:

- أيوه أنا مشوفتكيش بتموتي بعيني، أنا شوفتك بعقلي!

تقترب «أمنية» وتأخذ برأسه:

- أهو مخك ده اللي تاعبنا كلنا.

- ما انتي اللي صبتيني ولّا ناسيه؟

قالها مشيرًا إلى إصابة رأسه، لتتابع مدافعة:

- وأنا كمان اللي داويتك.

- يبقى ماتلومنيش.

- أنا الوحيده اللي مالومتكش أبدًا، أنا حبيتك انت زي ما انت.

- يعني انتي مُتّي ولّا عايشه؟!

- اسأل مخك يا «حلمي» ممكن يكون قالك الحقيقه.

- وممكن يكون كاموفلاج زي القضيه اللي فاتت.

تبتسم «أمنية» لتعطيه حقيقة كان يجهلها.

- العالمين بتوعك يا «حلمي»، إنت اللي بتختار.

- وأنا اخترتك انتي يا «أمنية».

- يا ريت تكون اخترت صح.

تقولها «أمنية» وتختفي، ليزداد غضب «حلمي مهران» وهو يلتف حول نفسه، ثم تتعالى وتيرة دورانه كمن في دوَّامة!

- لأ، ارجعي... لو موتي أو حتى في دماغي، برضه ارجعي..

يظل «حلمي مهران» غاضبًا ممسكًا برأسه، يحاول البحث عن المورفين في جيبه ولكنه لا يجده بالطبع!!

ليتجه ناحية الشاطئ في ضيق ليبصر البقية حيث كل منهم يحدث الآخر، فمن قِبَلِ «فرح» تظهر «جميلة» بجانبها قائلة:

- عارفه؟ أنا حبيتك أوي، إنتي نضيفه كده، لسه بشوكك، زي الأطفال بالظبط.

تبتسم «فرح» دونما إجابة، فتقترب منها «جميلة» لتضمها قبل أن تدفعها «فرح» صادة إياها.

- خلاص خلاص يا ساتر عليكي.

علقت «جميلة» إذ تنأى عنها رامقة «سيف» الذي كان جالسًا بجانب «حاتم» يتساءل في فضول، خارج المخيم في

هدأة الليل:

- هو انت معندكش أي فضول للي بيحصل خالص؟! مش عايز تعرف مين اللي عمل فيك كده؟!

- الفضول ده أول سكة الهلاك.

قالها «حاتم» متفلسفًا، ليتابع «سيف»:

- ما كلنا هلكانين من ساعة ما جينا هنا.

- لأ إحنا هلكانين من قبل ما نيجي هنا، عشان كده مش فارق معايا حاجه، ولَّا المفروض يفرق معاكوا؟!

يقولها «حاتم» قبل أن يسمع مرة أخرى منبه تلك الدراجة التي يعرفها ليلتف على نفسه في عجالةٍ إلى هذا الطفل على دراجته منبعثًا من عمق الجزيرة وليسرح بخاطره غير منتبه إلى «حبيب» الذي توسط المكان متسائلًا:

- طيب هو إحنا هانفضل مجاميع كده؟ إحنا لازم نعرف بعض، أنا مش عارف أثق في مين وأخاف من مين!

من على بعد عدة خطوات تعلق «جميلة» مثيرةً بشيءٍ من الخوف:

- ما كل اللي حكوا حكايتهم راحوا..

ينظر «حبيب» إلى «هدى» المقيدة من بعيد، قائلًا:

- خلاص، إيه رأيكوا أضحي أنا بنفسي وأحكيلكوا حكايتي، ما هو أنا جاي عشان أحكي، يمكن أنساها، أو حتى أفتكرها.

- هي مين؟!

تساءلت «جميلة» بفضول أنساها شكها، ليتدخل «سيف» هو الآخر:

- إحكيلنا كده مين الأول؟.. بما إننا كده كده هانموت هنا...

قالها «سيف» متسائلًا عن قصة «حبيب» متزامنًا مع تصفح «سميحة» لتلك الأجندة الحمراء الموضوعة بجانب ملفاتهم في الكوخ والتي كانت تخص زوجة «حبيب» بالفعل الذي يبدأ الآن قص حكايته مع زوجته من صدر الليل وجوفه في هذا المُخيم الذي لا يزال به متسع للعديد من الوقائع والحالات الإنسانية والنفسية بشتى ألوانها، وإذ كانوا متحلقين متأهبين، انبرى «حبيب» قائلًا:

- أنا «حبيب» دكتور بشري، بس للأسف علمي مافدنيش إني أنقذ أقرب إنسانة ليّا.. مراتي!

تظهر «فرح» مستمتعة برومانسية الرجل قبل ورود «حلمي مهران» ممتعضًا، ليجلس بجانبهم، بينما تابع «حبيب»:

- كانت ملاك، كانت أجمل حاجه في الدنيا، ربنا عوضني بيها عن يتمي ووحدتي، كانت حنينه أوي، وبتقدر تحتوي كل الناس حواليها.

تتماهى «فرح» مع ما تسمعه؛ فذابت من المستوى الشاعريّ لحديث الرجل، متأثرةً بحالةٍ من الحنين لا تكاد تُوصف، بينما «حلمي مهران» يراقبها دون غيرها.

- كان نفسها تخلف مني طفل تربيه، زي ما كانت بتربي أختها الصغيرة، حاولنا كتير، بس للأسف الحمل مكنش بيثبت، وفي كل مره كانت بتسقط قبل الولاده، لغاية آخر حمل اللي وصل للشهر الأخير، بس ربنا مابيتعاندش، وجلها نزييف، ورغم كل اللي اتعلمته في الطب، مقدرتش أداويها في البيت!

ما فتئت عينا «حلمي مهران» مُركزتين على «فرح» وما يبدو عليها من مشاعر، وقد بدأت تتوتر، و«حبيب» يسترسل في قصِّ حكايته:

- شيلتها زي العاجز للمستشفى.

قالها «حبيب» متذكرًا مشهد المستشفى الذي بصر فيه «سميحة» ليتابع بينما «حلمي مهران» كاد يخترق عقله:

- بس وصلت متأخر كعادتي، هناك عرفت إن الاحتفاظ بالجنين ممكن يأثر على حياتها.

يعود الآن «حبيب» إلى ذكرى حديثه التي شاهدها «حلمي مهران» للتو، متخيلًا الدكتور «ماهر» وهو يقص الاختيارات المتاحة لـ «حبيب» قبل بداية الأحداث، حين خيره بين زوجته والجنين، الأمر الذي كان محسومًا لـ «حبيب»:

- يعني لو حلمها اتحقق هي مكنتش هاتشوفه، فاخترتها هي، رغم إني عارف إنها كانت هاتختار الطفل.

يقولها مجهشًا ببكائه شاهقًا، ثم اعتذر:

- بس أنا اخترتها هي... ومكنتش أعرف إني اخترت غلط.

يشعر «حلمي مهران» بالتعاطف مع «حبيب» وهو يتذكر ما قاله للتو لخيال «أمنية»، حين أعلن عن اختياره لها دون البقية:

- بس هي عمرها ما كانت اختيار غلط!

قالها «حبيب» متذكرًا ذلك اليوم، حين كانت على سرير غرفتهما بعدما أنقذها لتظل هي المستلقية، في حين لا يزال «حبيب» يمسك بأجندتها الحمراء التي لا تزال تقرأ «سميحة» أحداثها داخل الكوخ.

- وهي مراتك راحت فين؟!

تسأل «جميلة» «حبيب» عن زوجته بالمخيم وقد جَنّ الليل ليجيب:

- الاكتئاب كان أقوى منها، وفي يوم للأسف ملحقتهاش.

دمعت «فرح» تأثرًا بينما لا يزال «حلمي مهران» ينظر إليها في ريبة، كما دمعت «سميحة» الآن وهي تقرأ تلك الأجندة الحمراء التي قصت نفس الحكاية ثم وقفت لحظة، لتضعها جانبًا وتمسك بملفاتها الموضوعة أمامها، متناولة ملف «حبيب» بشيء من الود، لتلامس بأناملها صورته من على الملف، فلقد كانت مثلهم متعاطفة معه ليتمتم «سيف» الآن بتمائمه:

- أستغفر الله العظيم يا رب، بس انت مغلطش، إنت عملت اللي الواجب والشرع قالوا عليه.

- آه والله، زي ما الشيخ قالك كده.

علقت «جميلة» مؤكدة كلام «سيف» الذي اعترض على وصفها قائلًا:

- أنا مش شيخ...

- طيب ماتقولنا انت مين؟ ولَّا لسه خايف؟!

متدخلًا في حديثهما، يسأله «حبيب»، فيعلق «سيف»:

- خايف!!!

يقولها ثم يتوقف لحظة قبل أن يضيف:

- أنا لو حكيتلكوا أنا مين، صدقوني انتوا اللي هاتخافوا.

- أنا عن نفسي مابخافش.

بثقة قالها «حلمي مهران» لتعلق «جميلة»:

- أخيرًا طلعلك صوت!

- طيب ماتحكيلنا انت الأول يا «حلمي»، وصدقني بعدها أنا هاحكي حكايتي.

قالها «سيف» مُرَاوِغًا، ليرمق «حبيب» «حلمي مهران» متحديًا:

- ما تقول فعلًا يا «حلمي»، شيل شويه من الغموض اللي عليك.

- أنا معنديش حكايه أحكيها.

- طيب اشرب الشاي بتاعك بس وجربنا.

قالها «حبيب»، ليمسك «حلمي مهران» الشاي الذي ناوله إياه مبتسمًا وهو ينظر إليه.

- عارف يا «حبيب»؟ أنا الوحيد هنا اللي الشاي ده مابيأثرش فيه.

يتوتر «حبيب» ليتابع «حلمي مهران»:

- ماتستغربش كده، أنا هاحكيلك بس بشرط.

- من أولها، أؤمر.

- المهم تفهمني.

***

(07)

لا يزال «المراقب» يراقب ما يحدث عبر تلك الكاميرات الموضوعة في كل أركان الجزيرة، وهو جالس على مكتبه الأبيض المستدير المميز يرمق كل الشاشات مستمتعًا بكل تفصيلة، خاصة «حلمي مهران» الذي يكمل حديثه الآن للبقية:

- هاحكيلكوا.

- إطربنا.

علقت «هدى»، ليتساءل «سيف»:

- كل اللي قالته عليك الدكتورة «هدى» إنك «حلمي عبد المهيمن».

يشرب «حلمي» الشاي فيبتسم ويبدأ الحديث:

- بالظبط كده، أنا «حلمي عبد المهيمن» وحيد أبويا وأمي، ويمكن ده سبب مشكلتي.

في شرود يقولها قبل أن يسمع للتو صوت أمه «حكمت» من خلفه قائلة:

- إنت عمرك ما كان عندك مشكله يا «حلمي».

- أمي!!...

يقولها ملتفتًا خلفه متوترًا، لتتهكم «جميلة»:

- إحنا بدأنا..

- واضح إن شاي الدكتوره «هدى» عامل زي قهوة «عدلات»، وواضح إنك بتتأثر عادي يا «حلمي» أهو...

قالها «حبيب» ساخرًا، متذكرًا دور الفنانة «عايدة عبد العزيز» في فيلم «النمر والأنثى»، قبل أن يستوقفه «سيف» متلهفًا:

- سيبوا الراجل يكمل.

يعود «حلمي مهران» مُجددًا إلى واقعه بعدما انتبه لأوهامه ليكمل:

- أبويا كان عنده أخ وحيد من أمه الله يرحمها، بس كان مريض توحد.

- عشان كده إنت طالعله؟!

تساءلت «جميلة» في تهكم، ليستوقفها «حبيب» تلك المرة:

- «حلمي» مش مريض توحد.

مدافعًا قالها «حبيب» ولكنه سمع والده الآن يؤكدها.

«لأ، مريض توحد»

يسمعها «حلمي مهران» الآن بصوت والده في ذهنه ولكنه يتماسك فيترك كوب الشاي، ليضغط على خاتم يده ذي الحجر الأحمر الذي ورثه عن والده، ليغلق عينيه، ويبتعد برؤياه عن الجميع!! عائدًا في لحظة إلى زمنٍ بعيد، وعهد سحيق إلى عيادة طبيب الأطفال وأخصائي التوحد الذي ذهب إليه في طفولته مع والديه حيث ظل «عبد المهيمن مهران» والده يؤكد

تخوفاته:

- أنا عارف إنه طالع لعمه يا دكتور، مفيش فايده.

قالها «عبد المهيمن» الذي كان يرتدي بذلته الشرطية، قبل أن تتدخل الأم بقوتها المعهودة قائلة:

- بعد الشر.

يستوقفهما «الدكتور» مُجلّيًا:

- أنا ماقولتش كده يا فندم، ساعات كتير بيكون تأخير التواصل الاجتماعي نتيجة ذكاء زيادة مش العكس.

- أنا مش عايز مسكنات، أنا عارف إن ده كان هايبقى مصيري مع ابني، بس أنا مش هاقدر أعيش الكابوس ده مرتين.

يقولها «عبد المهيمن» وهو يهم ليغادر رامقًا ابنه بنظرة عتاب قبل أن يذهب خارجًا من الغرفة ليجده في نفس اللحظة في غرفة معيشة بيته حيث تتلاحم ذكريات «حلمي مهران» الطفولية الآن ليتابع ذلك اليوم الآخر حين كان يلعب بألعاب الفيديو البدائية التي كانت متواجدة حينها، والتي كانت من اجتهاد الأم في محاولة لفتح أبواب جديدة للتواصل مع ابنها، ولقد كانت بالفعل طريقة ناجحة لاكتشاف «حلمي مهران» منذ نشأته، إلا أن الأب لم يتفهم ليرشقه ابنه بنظرة احتقار، ولكن تلك النظرة لم تؤثر على حب «حلمي مهران» لأبيه، بل ظل قدوته بتلك البذلة المقدسة وهذا الخاتم ذي الحجر الأحمر



الجريء الذي لا يزال يُختم به الآن:

- روحت فين؟

تساءل «حبيب» قبل أن تضيف «جميلة» قائلة:

- يعني أبوك هو اللي معقدك زيي؟!

- معرفش، بس أنا وعيت في الدنيا على قسوته، وقبل ما أشتكي كان مشي، واللي مزعلني إني رغم كل ده كنت مستني رضاه.

- عشان أصيل.

جامله «حبيب» ليكمل «حلمي مهران»:

- أو يمكن مابحبش أمشي خسران.

- دي كده شيزوفرينيا.

بمهنية شخصية أكمل «حبيب»، ليتابع «حلمي مهران»:

- صدقني يا «حبيب»، أنا مش واحد جواه الشيء وعكسه بس... لأ

أنا جوايا 100 شخصية مش اتنين بس، ولما رجعت من الموت فهمت أهمية كل نفس بنتنفسه، عشان كده عايز أعيش كل حاجه كامله، ومفيش تجربه ما ينفعش الفضول يسيبني من غير ما أدخلها.

يقولها «حلمي مهران» ليتدخل «حاتم» مشاركًا:

- الفضول هو سبب كل ده.



يتدخل «حبيب» مدافعًا عن الفضول:

- بس هو برضه اللي بيحركنا، وده يمكن اللي خلى «حلمي» يتكلم معانا ويشاركنا قصته، رغم تكتمه الشديد.

- مش ده اللي خلاني أحكي.

مفندًا رد عليه، فسأله «حبيب»:

- أومال إيه؟

- معرفش.

يقولها مبتسمًا وهو يرمق كاميرا خفية موضوعة أعلى شجرة بعيدة، ثم يتابع بثقة:

- بس يمكن عشان عارف إن مفيش حد منكوا هيلحق يحكي حكايتي لحد.

- ليه التفويل ده؟

تقولها «جميلة» متهولةً:

- بالعكس، دي أحلى حاجه قالها، أصل أنا عكسك، أنا مستني أموت عشان أرتاح من علتي.

يقولها «حاتم» مشيرًا إلى قدمه، ثم يتابع:

- عشان كده أنا جيت هنا، عشان أموت مش عشان أتعالج.

يقولها وهو يقهقه ببرود مجنون، ليتمتم «سيف»:

- أستغفر الله العظيم، بلاش الكلام ده بس.

- طيب ما تكمل انت يا «سيف»، أظن ملكش حجه بعد ما «حلمي» اتكلم.

يعلق «حبيب» طالبًا مشاركته:

- براحتكوا بس يا ريت رأيكوا مايتغيرش، وتطلعوا زي الناس وتحطوا أحكام.

كان «سيف» ضحية هذا المجتمع المستبق للأحكام، حاله حال الجميع، فإن المجتمع يتباهى بأخلاقه أكثر من إيمانه بها، ليشعر كل من يقوم بالصلاة بأنه قد ارتقى عن البقية ليرمقهم نظرة دونية، وهكذا دواليك دواليك، فكل من يقوم بحسنة يتناسى أنها كانت ابتغاء مرضاة ربه ويحتسبها ترقية له عن البقية ممن صاروا أدنى منه، فكما يتباهى الغني بماله فيفقد قيمته، يتباهى الخلوق بخلقه ليفقد قيمه.

- برضه جربنا.

مُحفزًا يعرض «حبيب» ليوافق «سيف»:

- ماشي...

- أنا «سيف» أنا برضه وحيد أبويا وأمي يا «حلمي»، قبل ما الاتنين يموتوا سوا ويسيبوني وأنا عندي سبع سنين، من غير أخ ولا أخت، ولا عم ولا خال، لوحدي مع جدتي، اللي كنت بخدمها أكتر ما بتخدمني.

يقولها مستحضرًا لمشاهد عديدة في خياله من حياته مع جدته مُتحملًا شيخوختها ومرضها، ويتعاونان معًا على شئون

حياتهما رغم صغر سنه، ليبتسم «حلمي مهران» الذي كاد يشاهد ما في خياله من ذكريات:

- يمكن عمرها ما حرمتني من حاجه، بس في حاجات مابتتعوضش، كل الناس افتكرت إني هابقى مدمن أو بتاع ستات، أصلي ورثت كتير بس أنا كنت أضعف من كده!

يظل يتذكر طفولته ومراهقته:

- كنت خايف أوي، خايف من الموت، خايف من ربنا، وفضلت خايف ووحيد لغاية ما لقيت حد يحتويني.

يشير «سيف» إلى إحدى الجماعات المتطرفة التي استغلت وحدته واحتياجه للدعم النفسي والمعنوي:

- جماعه حسسيتني إنهم أهلي، استغلوا ضعفي وخوفي وبقوا أقرب مني ليا، بس كانوا أكبر كدبه صدقتها في حياتي، مسحوا مخي، عشان فلوسي، ولما الفلوس خلصت عليهم، بقيت بتذل باللقمه، اللي بقى لازم أكسبها بدراعي، لغاية ما جيه اليوم اللي اطّلب مني إن أثبت فيه ولائي.

يقولها متذكرًا ما رمقه «حلمي مهران» للتو حين كان «سيف» داخل تلك الخيمة في إحدى الليالي المشئومة والتي قادت فيها جماعته الملثمة هؤلاء الرجال الأبرياء الثلاثة، يمشون نحو الهاوية في مشهد مرعب ظل في مخيلته وعقله سنواتٍ عدة، فقد كانوا يتحركون برؤوس مرفوعة، ليندهش «سيف» حينها من قوتهم، فلقد كانوا على حق وهو على باطل، ليرمق عزة أنفسهم وكبرياءهم التي لم تمتلكها جماعته

مندهشًا، بل وكانوا يهرولون ناحية منصة الإعدام ليتخلصوا من أسر تلك الجماعة الظالم أهلها، قبل أن يجلسوهم أرضًا من داخل تلك الخيمة الشاسعة التي مُولت بأموال الظلم، بينما يأمره أحد أفراد الجماعة الملثمين بقتلهم، معطيًا «سيف» السلاح، ليتسمر مترددًا، فلم يكن أبدًا قاتلًا بل كان فقط دون هوية، يبحث عن الاحتضان، ولكنه أخطأ الاختيار حال الكثيرين، ليتجمد في عروقه، قبل أن يتدخل أحد الملثمين في غضب ضاغطًا على أصبع «سيف» عنوة من على الزناد لتتطاير الطلقات، مطيرةً معها قطعًا من أمخاخ القتلى وجماجمهم وسط سعادة الرجال ودموع «سيف» ونحيبه كالأطفال متصلبًا بموقعه لا يبدي حراكًا وهو يرقب المشهد في استنكار واشمئزازٍ، لا يدري ما يعمل!! بينما الرجال يهللون في سعادة بعدما وقع الضحايا الثلاثة، قبل أن يُدخل الرجال مجموعة من النساء المقيدات إلى الخيمة ليبدأوا في نهش أجسامهن، كالذئاب الجائعة، بل أخسَّ منها، والتحرش بهن بجانب جثث الضحايا بوحشية تعكس مرض عقولهم، ليظل «سيف» مذهولًا من هول ما يرى، فيجثو على ركبتيه صارخًا دون أن يظهر لصراخه أي صوت بجانب ضحكات الرجال وظلمهم.. أيُّ ملةٍ هؤلاء؟! وأيُّ نوعٍ من الخلق بل من المسخ هم؟!!

يظل «حلمي مهران» مذهولًا من هول ما تخيله للتو، لتفر دمعة من عينه الباردة وسط اندهاشه، فلم تحدث منذ كثير، ولكن هول ما رآه كان مختلفًا، ليظل شاردًا للحظات يحاول استيعاب سر تلك الجزيرة التي فتحت عقولهم أمام عقله،



ولكنه كان يجهل أن السر لم يكن أبدًا في الجزيرة، بل ما يحدث الآن في عقولهم، في تجربة كادت تؤدي بهم إلى ما حدث له منذ حادثه، ليصيروا جميعًا في هذا العالم الموازي المنفتح أبعاده، ليتوتر البقية من تلك الرؤى التي لم تؤثر سلبًا على «حلمي مهران» الذي كان هو سيد هذا العالم.

- كلكوا كده؟! وحوش بتنهشوا في لحم الستات؟!

تقولها «جميلة» بعدما سمعت قصة «سيف» لتبدأ في استباق الأحكام عكس ما وعدت، فطبيعتها طبيعتنا، لم تتغير.

- عيب يا «جميلة».

يتدخل «حبيب» حادًّا من انفعالها:

- إيه اللي عيب! ده طلع قتال قتله، وأنا اللي كنت شايفاه بني آدم!

بقسوة تقولها «جميلة» وتتجه ناحية الخيمة، لكن قبل أن تصل إليها تستوقفها «هدى» المقيدة:

- رايحه فين؟! إنتوا لو نمتوا مش هايجي عليكوا صبح....

- ما أنا عرفت، بس ما هي دي مجايبك.

تحاول «هدى» تحذيرها قائلة:

- إنتي مش هاتقدري....

تقاطعها «جميلة» وهي تمسك بوشاحها الموضوع حول رقبتها لتضعه بفم «هدى» كي تصمت، فجعلت تعافر قبل أن

تنتهي «جميلة» قائلة:

- أيوه بقى كده، نقطينا بسكاتك.

تقولها ثم تتجه «جميلة» لمنطقة إعداد الطعام لتشرب عصيرًا ما، كان موضوعًا، قبل أن تشعر بدوار واضح، لتتوتر وتسحب سكينًا بالمنضدة، وبنظرة قوية حادة، تعود إلى خيمتها..!! لتستلقي وهي ممسكة سكينها في حالة استعداد لأي غدر، بينما عند البقية يتابع «سيف» دامعًا:

- شفتوا بقى، محدش بيقدر يتقبل الحقيقه، ولا حتى أنا قادر أسامح نفسي.

- ندمان؟

سأله «حبيب» ليجيبه:

- مش حاسس غير بالندم، والسبب الوحيد اللي عايش عشانه، إني أوعي الناس من شرهم، مش عايز حد غيري يشوف نفس المصير، عايز أروح شارع شارع، وأخبط على بيت بيت أحكيلهم اللي شوفته يمكن ده يكفر يوم عن ذنبي!

يقولها وهو ينظر إلى ثلاثتهم الذين كانوا متوقفين خلف الخيمة بملابسهم الحمراء، ليرمقهم «حلمي مهران» هو الآخر، هؤلاء الذي تم إعدامهم من قبل جماعة «سيف»، ليزداد توتر «سيف»، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم، ليظل هو يبكي ندمًا قبلوه أخيرًا ليستديروا -للتو- مغادرين إلى عمق الغابة في رضا أراح نفسه نوعًا ما، ليتجه هو ناحية الخيمة، لائذًا بها، ليتربع فيها أرضًا عاجزًا دامع العينين، بينما لا يزال «حلمي

مهران» في الخارج يراقب «حبيب» الذي نفر منه:

- بتبصلي كده ليه؟!

- مستغرب.

- ويا ترى مستغرب من إيه؟

- أول مره أقف قدام شخصيه وأبقى محتار بين خيرها وشرها!

يقولها «حلمي مهران» الذي كشف عن «حبيب» هو الآخر الكثير، ليظل حائرًا بين خيره وشره، ولكن «حبيب» كان ببساطة رمادي اللون، حاله حال الكثير لم يُخلق ملاكًا، ولم يكن أبدًا شيطانًا.. توتر «حبيب» وأكمل «حلمي مهران» قائلًا:

- إوعى تفتكر إن انت بس اللي بتراقبنا كلنا.. لأ، أنا كما براقبكوا واحد واحد، وبدأت أعرف حدوتة واحد واحد، واستغربت إنك حكيت قصتك!

يقاطعه «حبيب» معلقًا:

- مش يمكن أنا كمان عارف إن مفيش حد هايلحق يحكيها!

بثقة يبتسم «حلمي مهران» قائلًا:

- أنا معنديش أدنى شك، بس مستغرب إنت إزاي بالبرود ده بعد الحب اللي عيشته!

أشار «حلمي مهران» إشارة صحيحة، فلقد كان قلب «حبيب» قلبًا محبًا بكل صدق، ليجيبه في شرود:



- الحب ده هو سبب اللي أنا فيه يا «حلمي»، الحب بيوجع، وزي ما بيعلم اللين بيعلم القسوه.

- أتمنى إنك تلحق تتغير.

- أنا مش مهم يا «حلمي»، المهم الناس، المهم المنفعة الكلية.

يقولها «حبيب» مبتسمًا ينظر إلى الجميع، ليبتعد من رام الابتعاد شأوًا بعيدًا! ليهبط الليل على الجزيرة كما حل على هذا الكوخ الذي جلست فيه «سميحة» ترمق ملفاتهم في عطف شديد.

من خيمة الرجال كان «سيف» ممسكًا بالقرآن يحاول النوم، مرتديًا فانلة رياضية للنوم قبل أن ييأس، ليجلس وينادي «حبيب» الذي كان مستلقيًا:

- «حبيب».. إنت نايم؟

- أنا مابنمش

يجيب «حبيب» مُغَمَّضَ العينين، ليتابع «سيف»:

- طيب فكرك أنا ربنا هايسامحني؟!

يعتدل «حبيب» متعاطفًا في جلسته:

- معرفش، بس المهم إنك تقدر تسامح نفسك.

- إنت بقيت بتتكلم زي الدكتوره «هدى».

ساخرًا علق ليتابع «حبيب»:



- اللي يعيش ياما يشوف.

- طيب وهو اللي زيي يستاهل يعيش بعد اللي عمله؟

- أكيد، بس لو لسه ليه دور مكملش!

يقولها «حبيب» ليبتسم «سيف» شاردًا قبل أن يلمح خارج الخيمة حيث الظلام يعم الأرجاء، قبل أن يلمح شيئًا من الخارج!

- مين برا؟!

يقولها «سيف» رافعًا صوته ، قبل أن يهدئه «حبيب» مجيبًا:

- ده يا «حاتم»، يا «حلمي مهران» !!

كان «حاتم» بالفعل في الخارج يمسك عكازه وهو يمشي بطريقة غريبة إلى عمق الجزيرة تناديه النداهة بينما من خلفه «حلمي مهران» يراقبه، وهو يمشي كالمغيب من عمق الجزيرة، قبل أن ينتبه لمن يتبعه، فيلتفت فجأة ليجد «حلمي مهران» فيصرخ فيه:

- إنت عايز مني إيه؟!!

- إنت عارف..

قالها «حلمي مهران» وهو يقترب.

- إنت اللي عارف يا «حلمي»، وشوفت معايا امبارح كل حاجه، واللي أنا مش فاهمه إنت سكت ليه!

يتساءل «حاتم» الذي كان متأكدًا مما شاهده أمس وأنكره

«حلمي مهران» غير منتبهين لصوت تلك الهرولة للخطوات التي تتحرك وسط الحشائش، وصولًا إلى «هدى» المقيدة أرضًا بالخارج والتي فزعت من ظلال القادم إليها كشبح يقدم بجرأة، فلقد رمقت جسدًا من أمامها يظهر كسلويت ومن خلفه الإضاءة، لتحاول «هدى» الصراخ، ولكن وشاح «جميلة» الذي يسد فمها حال دون الأمر، لتكمل هي حركتها بأنين مسموع في ليلة ستبدأ أحداثها الدموية للتو!!

***

(08)

سمعت «جميلة» للتو صوت الأنين من خارج الخيمة، لتفتح عينيها فجأة مستيقظة على صوت الأنين، فتعدل من جلستها وتنظر إلى «فرح» النائمة قبل أن تمسك بسكينها التي كانت تحتضنها وتخرج بهذا الفجر الجديد، تبدو وجدت هذا الشخص غير الظاهر يقترب من «هدى» حيث سكتت عن الأنين فجأة..!

تقترب «جميلة» من خلف الرجل في ترقب، لتجده «سيف» الخالع سترته ويرتدي من أعلى فانلة رياضية فقط! لتكشر «جميلة» عن أنيابها فقد ظنت أن نية «سيف» التحرش بـ «هدى» المقيدة، إذ بدا لها في تلك اللحظة خيالًا تعرفه من خلف «سيف»، إنه خيال والدها قد ظهر لها الآن من العدم يبتسم لها متحديًا، ليعود بها إلى الماضي.

- بابا.. أنا صاحبتي هاتبات معايا النهارده.

قالتها «جميلة» لوالدها حين كانت مراهقة في تلك الليلة التي كانت عائدة فيها مع صديقتها إلى منزلها حيث كان والدها جالسًا على بار بالبيت يسكر فيه كعادته!

- وماله.. طبعًا البيت بيتها.

يقولها الأب السكير مبتسمًا لصديقة ابنته قبل أن يغازلها بنظراته وهو في غير وعيه، لتسرع «جميلة» بصديقتها إلى الداخل بينما ظل الأب يزداد شرابًا، حتى ثمل، وزاد سكره، فاقدًا الوعي تمامًا! فلهذا تُشرب الخمر ولهذا حرمتها الأديان، حيث استيقظ الأب فجرًا من ثمالته ليتحرك فجأة إلى الداخل

كالثور الهائج، فلقد نادته غريزة يجهل مصدرها الحيواني، ولكنها كانت بين ضلوعه، قننها عقله الذي فقده بتلك الكمية من الكحول، فتح الأب غرفة ابنته ليجدها هناك، ظنها صديقة ابنته فشرع يلاحقها بشراهة، حتى استطاع هتك عرضها، قبل أن ينتبه إلى صوتها تقول:

- حرام عليك يا بابا، ده أنا بنتك....

فتح الأب للتو عينه ليدرك ما فعله جسده النجس في لحظة أدرك فيها أنه داخل كابوس سيلاحق ذريتها إلى يوم القيامة، لتظل هي ترمق وجه أبيها بكره لم يتغير حتى تلك اللحظة التي شاهدت فيها خياله الآن من أمامها من خلف جسد «سيف» الذي ظل يقترب من «هدى» معطيًا «جميلة» ظهره، لتستبق هي الحكم محكمة قبضتها على هذه السكين صارخة:

- كلكوا أنجاس!!

يلتفت «سيف» من صعق صوتها ولكن بعد فوات الأوان، حيث غرزت هي للتو السكين في أحشائه، قبل أن تلاحظ في يده كوب الماء الذي كان يحمله إلى «هدى» التي ابتسمت متذكرة حديثها في محاضرتها في الجامعة حين ذكرت «سجن أوبتيك» حين قالت:

«حارس واحد بس بيراقب كل المسجونين»

يسقط كوب الماء مصاحبًا لصراخ «سيف» ألمًا، ليستيقظ البقية، مع انبلاج الفجر، ليقوم «حبيب» مسرعًا حال «فرح»، التي خرجت مفزوعة إلى الخارج لتصرخ للمرة الأولى فور

رؤيتها «سيف» على الأرض، قبل أن تبدأ بالركض بعيدًا إلى العمق من هذه الجزيرة المتوقف فيها «حاتم» يجادل «حلمي مهران» الذي شرح رؤياه:

- خلاص، يبقى كل واحد فينا ليه أسبابه.

- يعني هاتسكت يا «حلمي»؟

تساءل «حاتم» ليجيبه «حلمي مهران»:

- هاسكت بس مش كتير.

- الوقت مش في صالحك، كل ساعه واحد هايموت.

يقولها «حاتم» لحظة ظهور «فرح» التي تركض خائفة، لينتبها إلى ما يحدث.

- مش بقولك؟!

يقولها «حاتم» ضاحكًا؛ بينما يتجه «حلمي مهران» من فوره إلى المخيم، حيث كان «حبيب» جاثيًا على الأرض بجانب «سيف» الذي يلفظ آخر أنفاسه قائلًا:

- مش قلتلك محدش بيقدر يسامح؟ كلنا بنحكم على بعض، هي دي طبيعة البشر يا صاحبي.

يتأثر «حبيب» دامعًا بينما يصل «حلمي مهران» الذي يمسك رأسه في حسرة، و«سيف» يقول -متابعًا حديثه- بين يدي «حبيب»:

- بس على الأقل أنا ارتحت، إنتوا بقى إوعوا تنسوا اللي

حكيتهلكوا، وفكروا بيه كل الناس، عشان لو أنا مكنتش أول واحد في الجماعات دي، يا ريت أبقى الأخير.

يقولها «سيف» قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، فيتركه «حبيب» في حالة من السخط، وينظر إلى «هدى» المقيدة، ليتجه إليها وينزع عن فمها الوشاح، ولتبدأ هي الحديث من فورها:

- «جميلة» اللي قتلته.

ينظر «حبيب» إلى «جميلة» التي بدأت نوبة من الهستيريا:

- أيوه أنا أية الحق عليَّا، كان هاينهش في لحمك.

بخبث شديد تعلق «هدى» مستغلة الموقف:

- حرام عليكي، ده أنا صعبت عليه وكان جايلي بكوباية ميه، بدل ما كلكوا نسيتوني هنا زي الكلاب.

منهارة ترفض «جميلة» الحقيقة لتكمل بهستيريا:

- لا لا، هو كان هايغتصبك زي ما هو كمان عايز يغتصبك، كلكوا لازم تموتوا.

تقولها مشيرة إلى «حبيب» بالسكين الملطخة بدماء «سيف»، فيتدخل «حلمي مهران» من فوره:

- إهدي يا «جميلة» ونزلي السكينه.

- مش قبل ما أقتلك انت كمان.

ينقض «حلمي مهران» على «جميلة» مباغتًا لتقع السكين،

قبل أن يتدخل «حبيب» الذي ضربها بقوة، ليندهش «حلمي مهران» من ردة فعله لتهوي هي أرضًا، ويعم الوجوم صمتًا للحظات قبل أن تبدأ مراسم الدفن التي كان «سيف» بطلها، الذي سكن نفس البقعة التي استقبلت «عاصي» من قبله ليظل «حلمي مهران» و«حبيب» يرمقان بعضهما البعض من أمام فوهته بعدما ألقوا فيها «سيف» ومن ثم يتجهان ليمسكا بالصخور مغلقي القبر، حتى انتهوا لينظر «حبيب» إلى «حلمي مهران» ليسأله:

- بتعرف تصلي صلاة الجنازة؟

***

من داخل غرفة الكوخ، تظهر «سميحة» قد طلع نهارها، وهي تكمل قراءة ملف «سيف» قبل أن تسمع صوت رنين هاتف «أشرف» الموضوع على أريكة خلفها، فتقف «سميحة» بفضول لتجيب خلسة دون أن تصدر أيما صوت، قبل أن تسمع صوتًا غريبًا، تسمعه للمرة الأولى!!

- أيوه يا «أشرف».

ظلت «سميحة» متوقفة للحظات تحاول إدراك صوت المتصلة قبل أن تقولها بوضوح:

- يا «أشرف» أنا «فرح».

تذهل «سميحة» غير مدركة أنها كانت بالفعل «فرح» متوقفة وسط الجزيرة ممسكة بهاتف آخر وهي تردد في ثقة تظهر للمرة الأولى:

- ما ترد يا «أشرف» مفيش وقت.

***

ينهي «حبيب» صلاة الجنازة مع «حلمي مهران» ليتحرك مغادرًا بينما يظل «حلمي مهران» متوقفًا.

- مش هاترجع؟

تساءل «حبيب» ليجيب «حلمي مهران»:

- لا أنا هاستنى شويه.

- براحتك.

يقولها «حبيب» ليعود إلى الشاطئ حيث «حاتم» جالس بينما «جميلة» مقيدة حال «هدى» التي تساءلت:

- دفنتوه؟

يومئ «حبيب» بالإيجاب.

- طيب مش خايف جثته تتسرق هي كمان؟!

- ومين قالك إن الأولانيه اتسرقت؟!!

- إنت هاتعمل زيهم وتقول إن الميت صحي؟! ده انت دكتور!

تقولها «هدى» ليجيب «حبيب» في فتور:

- أنا هابقى أراقب المكان كل شويه.

- طيب مش هاتفكني بقى؟

تتساءل «هدى» ليعقب «حبيب»:

- لما أطمن على «فرح» الأول هي فين.

- أكيد «سميحة» عملت فيها حاجه..

اندهش «حبيب» من إجابة «هدى» التي تابعت لتشتته أكثر:

- هو انت صدقت إن «سميحة» غرقت؟!! أكيد هي على الجزيرة،

وعايزه توقعنا واحد ورا التاني، خلي بالك منها وخلي بالك من «حلمي» كمان هو فين.

يسكت «حبيب» لتبتسم مكملة:

- فكني، صدقني إنتوا في خطر من غيري، أنا الوحيده اللي عارفه حكاياتكوا.

ينظر «حبيب» إلى «حاتم» ليشاركه مسؤولية القرار، فيومئ «حاتم» برأسه موافقًا، لتنجح هي في نيل ما أرادت!

***

من عمق الجزيرة ظل «حلمي مهران» يرمق المدفن في شجن بمشاعر متخبطة قبل أن يسمع صوتها من خلفه:

- زعلان ليه يا «حلمي»؟

يلتفت «حلمي مهران» ليرمق «وعد» فيبتسم ويقول في هدوء:

- كنت مستنيكي.



- واتأخرت؟

- طول عمرك متأخره.

تبتسم هي الأخرى لتقول:

- بس المهم إني باجي في الآخر.

- مش دايمًا.

- إنت لسه بتحبني يا «حلمي»؟

يقترب «حلمي مهران» من خيالها ليشرح:

- أنا الصراحه كنت مستنيكي انتي بالذات عشان أتكلم معاكي وأشرحلك.. بس المهم تفهميني يا «وعد».

يهرب من عينها متابعًا:

- أنا معتقدش إني عمري حبيتك يا «وعد».

- إنت مصدق نفسك؟!

في ضيق تقولها في خياله، ليتابع في هدوء:

- وأكدبها ليه؟

- عشان لسه بتيجي لحد بيتي.

- خايف عليكي مش أكتر.

بكبرياء وغرور كعادته تتهكم قائلة:

- وده اسمه إيه إن شاء الله؟!



- مسؤوليه.

- وليه المسؤوليه لو مفيهاش حب؟

يستند «حلمي مهران» على صخرة ليتابع في حكمة:

- حبي ليكي مش حب راجل لست.

يظهر الضيق على «وعد»، فتصيح:

- كدااااب.

ببرود يتابع هو:

- وهاكدب ليه؟ إنتي عمري ما عاملتيني كراجل عشان أعاملك كست، عمرك ما كنتي زوجه أو شريكه.

يقولها ثم يعود ليقف مقتربًا منها:

- إنتي كنتي أكتر إنسانه أنانيه عرفتها، إنتي زيك زي العيال، بيتولدوا بأنانيه لما بيلاقوا كل حاجه عندهم، مابيعرفوش قيمة أي حاجه ولا أي حد..

هي دي حقيقتك يا «وعد»، إنتي اتولدتي في بوقك معلقه دهب، أبوكي قدر يحميكي ويجيبلك كل حاجه، لغاية أما مابقتيش تقدري اللي بيتعمل عشانك،

مقدرتيش «فؤاد» زمان ومقدرتنيش بعده، ودلوقتي رجعتي تشوفيني، إحنا بني آدمين مش لعب.

تدمع «وعد» بطفولة متسائلة:

- هو أنا وحشه أوي كده؟!



- بالعكس، وهو ده اللي مصبرني عليكي يا «وعد»، إنتي شرك ساذج برضه يا «وعد» زي الأطفال، ويمكن دي أحلى حاجه فيكي، إنك رغم أنانيتك لسه بريئه يا «وعد».

- أنا مش فاهمه حاجه!

- مش بقولك طفله؟!

- يعني بتحبني؟

تتساءل «وعد» بسذاجة:

- ممكن أحبك وممكن أزعل منك، بس عمري ما أبعد عنك.

- يعني هاترجعلي؟

ظنته حبًّا فابتسمت، قبل أن يجيبها قاطعًا:

- أكيد لأ، لإني مش بدور على طفله تبقى مسؤوله مني، أنا بدور على حضن يبقى مسؤول عني.

يقولها ليجن جنونها صارخة:

- مش هاتلاقيه وهاترجعلي يا «حلمي»!!

- إمشي يا «وعد».

يقولها وهو يغادر تاركًا إياها واضعًا يده في جيبه.

- مش هامشي يا «حلمي»، أنا هافضل في عقلك لآخر العمر، ولو قدرت عليا مش هاتقدر على ابنك.

تقولها وتختفي، ليجد «حلمي مهران» ابنه أمامه، فيتوقف

متفاجئًا، فلم يكن يتوقعه بالفعل:

- إنت نسيتني يا بابا؟!

يتناسى «حلمي مهران» أنه يتحدث لخياله، فيتحدث بدفء حقيقي:

- أنا عمري ما نسيتك يا «وليد».

- أومال مجتش تكمل لعب معايا ليه؟

- عشان بحل قضيه مهمه.

يبتسم «وليد» ليقول بدهاء:

- أساعدك فيها.

يبتسم «حلمي مهران» هو الآخر مستجيبًا:

- تصدق أنا فعلًا محتاج مساعده.

- خلاص يالا بينا نحلها زي أول قضيه.

يقولها ليبدأ هذا الشبل في مشاركة ذاك الأسد لحل تلك القضية الخامسة، ليبدأ فعلًا في لفت انتباه «حلمي مهران» لما ينقصه لحل القضية، لتتغير رؤيته ورؤياه بالفعل للبقية من حوله الذين كانوا عند الشاطئ يبحثون عن «فرح» التي عادت للتو واضعة موسيقاها في أذنها. يقترب «حبيب» سعيدًا بوصولها عكس «هدى» التي كان قد حررها من قيودها بالفعل، إذ يقول:

- «فرح» كنتي فين ده كله؟!!



لم تجبه وهي تنظر إلى «هدى»، ليعلل «حبيب»:

- أنا فكيت «هدى» عشان كنت محتاج حد يساعدني...

يظهر على «فرح» القبول ليتساءل:

- إنتي تمام؟!!

تومئ هي برأسها إيجابًا ليستوضح:

- يعني كان فعلًا سوء تفاهم زي ما «هدى» كانت بتقول؟

تساءل «حبيب» عما حدث بينهما في ادعاء كاذب للمسؤولية، لتومئ «فرح» بالإيجاب مرة أخرى، لتبتسم «هدى» التي كانت تجهل حقيقة «فرح».

- مش قلتلكوا «سيف» هو اللي ظلمني...؟!

تقولها وهي تنظر شامتة إلى «جميلة» المقيدة، ليعلق «حبيب»:

- خلاص...أهو راح لحاله.

- لأ إنت لازم تسمعني.

تحاول «هدى» المدافعة عن نفسها مكررة:

- لأ، مش لازم أسمعك، مش معنى إني فكيتك إني واثق فيكي، أنا الصراحه مش واثق في ولا واحد فيكوا، بس خلاص متبقي ليله واحده، ربنا يعديها على خير، وكل واحد يخلي باله بقى من نفسه.

يقولها «حبيب» قبل أن تعيد «فرح» وضع موسيقاها في

أذنها وتبتعد راكضة كعادتها، بينما يبتسم «حاتم» إلى «حبيب» في نظرة ذات معنى قبل أن يتوجه إلى البحر ونسيمه، ليتحرك كل منهم في واديه لدفع الوقت إلى الأمام، فها هو المساء قد حلَّ، لتبدأ وقائع الليلة الأخيرة عندما يعود جميعهم إلى نفس المكان مستسلمين في رهبة من تلك الليلة التي ستبدأ تتلاعب بعقولهم، فها هو «حلمي مهران» يتحرك في عمق الجزيرة هاربًا من رؤياه قبل أن يستوقفه «فؤاد» زوج طليقته للتو:

- مستعجل على إيه؟

يتفهم «حلمي مهران» شر رؤياه فور ظهور «فؤاد» قائلًا:

- الصراحه إنت الوحيد اللي مش مستنيه.

قالها «حلمي مهران»، فتابع طريقه دون أن يتوقف.

- هاتفضل تتجاهلني لإمتى؟

يتبعه «فؤاد»:

- على فكره أنا أكتر واحد هاتعمله حساب الفتره اللي جايه، وخلي بالك، إبنك اللي انت فرحان بيه ده متربي في بيتي.

يتوقف «حلمي مهران» فور تحدثه عن «وليد».

- لفت انتباهك دلوقتي؟! بس بسم الله ما شاء الله، إبنك عبقري، حل معاك القضيه هوا.

يلتفت «حلمي مهران» إلى خياله قائلًا:

- إنت عارف لو هوبت ناحية ابني، أنا هاعمل فيك إيه...؟

- واشمعنى انت عايز تاخد مني بنتي؟

- صدقني إنت وبنتك آخر اهتماماتي.

- عمومًا ماتخافش على ابنك، أنا أنضف منك، بس انت من النهارده كسبت عداوتي وخلقت عدو، أنصحك يا «حلمي» ماتستهترش بيا، لإن اللي زيي لما يقلب حقيقي بيقى مؤذي.

يقولها «فؤاد» الذي اختفى تاركًا «حلمي مهران» وحيدًا في عمق الجزيرة ليمضى في طريقه مسرعًا، غير منتبه لشر هذا العدو اللدود الذي ينتظر اللحظة المناسبة للتربص به!

***

(09)

من عند الشاطئ يرمق «حلمي مهران» المشهد في ترقب إذ كانت «هدى» بجانب «حبيب» يطهيان الطعام، بينما هي تمسك بشيء ما تحاول وضعه في الطعام في غفلة من «حبيب»، إلا أنها تتردد، لينتبه «حلمي مهران» الذي كان بالطبع قد فهم ما يحدث.

- شاي «هدى» ده زي قهوة «عدلات»!

يقولها «حبيب» ساخرًا، ثم اقترب منها ليرمقها بقوة أهابتها، ليتابع:

- إيه في حاجه ناقصه في الشاي؟

- لأ خالص...

بندم تقولها قبل أن تصرف نظرًا وتعيد ما كانت ستضعه مرة أخرى في جيبها، ثم تتوجه إلى الطاولة حيث يجلس «حاتم» و«فرح» و«حلمي مهران».

- أنا حقيقي آسفه...

يندهش «حبيب» الذي يعود ليجالسهم.

- إشمعنى؟!!

تتابع «هدى» وتبدي ندمًا:

- أنا حقيقي غلطت إني جبتكوا هنا.

يعلق «حاتم» مستسلمًا:

- كل شيء مكتوب...

يقترب «حلمي مهران» ويجلس بجانب «هدى» ثم يمد يده ليأخذ تفاحة كانت على المنضدة، وبينما هو يتحرك بجسمه إذ به يمد يده الأخرى ليأخذ ما كان في جيبها دون أن تنتبه، لتتابع هي بشيء من الندم:

- بس اللي حصل ده مكنش مكتوب، أنا كنت لازم أتوقع إن «جميلة» مش هاتستحمل قصة «سيف».

يبدأ البعض تصديقها فتعترف «هدى»:

- دي غلطه مني، أنا عارفه إن محدش منكوا عايز يتكلم، بس على الأقل ممكن تسمعوني، ما هي آخر ليله خلاص.

تنظر إلى «جميلة» المقيدة في شرود.

- كان لازم أنبه «سيف» مايتكلمش قبل ما «جميلة» تفهم، لإن «سيف» حقيقي كان اتغير، إن واحد زيه يتوجه للطب النفسي، ده أكبر دليل على التغيير، واحد غيره كان ممكن يحط راسه في التراب ويسكت، زي ما «جميلة» سكتت ومفضحتش أبوها.

ترمق «هدى» «جميلة» المقيدة متابعة:

- بس هي سكتت، وطلعت عقدتها على كل الرجالة اللي شافتهم، لغاية ما أذت كل اللي حواليها وبقت وحيده، معرفتش تكوِّن أسره ولا بيت، مابقتش قادره تثق في حد.

يرمق الجميع «جميلة» بشيء من الرحمة.

- أنا كنت فاكراها هاتبقى مبسوطه وهي وسطنا، بس للأسف غريزة الانتقام لسه مزروعه جواها، ياريتها كانت اتعلمت من «سيف» وحاولت تتغير، يمكن ساعتها كانت قدرت تنسى.

يرمقها الجميع في عطف وقد بدأوا يثقون فيها، وهي تتابع:

- إحنا لو خرجنا من هنا عايشين أنا مش هارجع هنا تاني، خلاص هارجع كندا، وياريت كل واحد منكوا يكون استفاد حاجه.

متهكمًا يعلق «حبيب» الذي تحرك وعاد ببعض العصائر ليقدمها للجميع.

- نفعيه برضه!...

- أكيد.

تؤكد وهي تأخذ العصير، ليتدخل «حلمي مهران»:

- واللي راحوا يا دكتوره؟

- نصيبهم.

بذا علقت «هدى» ليحدها «حلمي مهران»:

- لأ اسمحيلي، ماينفعش اللي راحوا يروحوا هدر...

- وهو أنا هاعمل إيه؟!

- لازم التجربه تكمل.

بقوة يقولها «حلمي مهران» لتتوتر «هدى» التي بدأت تشعر

بالدوار فجأة بينما ينظر «حبيب» إلى «فرح» مندهشًا و«حلمي مهران» يرقبهم، قبل أن يوضح:

- قصدي تجربة العلاج يعني.

يقولها متلاعبًا بالحديث، ليزداد الدوار على «هدى»، لتعيد النظر إلى الكوب الموضوع أمامها.

- أكيد.

فجأة يتدخل «حاتم» في النقاش:

- ماحدش بيروح هدر، ده قدر ومكتوب.

يقولها وهو يشير بيده جهة السماء، ليظل الجميع مندهشين من تدخله قبل أن يتابع:

- أومال انتوا فاكرني ساكت ليه؟ أنا ساكت عشان الكلام ملوش لزوم، كله مقدر ومكتوب، مش كده يا «حلمي»؟! مش كده يا دكتور «حبيب»؟!

يقولها «حاتم» وهو يرمق كل منهما بنظرة ذات معنى، ليتوتر «حبيب» ويسأله:

- أكيد طبعًا، طيب ماتحكيلنا حكايتك مكتوب فيها إيه؟

- أنا حكايتي أبسط كتير من حكاويكوا، عشان كده كنت ساكت.

- مفيش حكايه هنا بسيطه، أنا مذاكره حواديتكوا كلها، اتكلم وخليهم يحكموا.

قالتها «هدى» لينظر «حاتم» إلى «فرح»، ثم يقول مشاكسًا براءتها الكاذبة:

- طيب لو انتي وافقتي هاتكلم وأحكي.

تبتسم «فرح» بفضول ليكمل «حاتم»:

- ماشي.. أنا كابتن «حاتم»، طول عمري بحب البحر، وده اللي خلاني آجي، أنا مش جاي أحكي لأ، أنا جاي للبحر اللي لما يناديني ماينفعش مالبيش النداء، والبحر نداني من صغري، حبيته وحبيت غموضه وعمري ما لقيت إجابات على أسئلته، عشان كده اتعودت مسألش كتير، وأسيبله نفسي وأجري وسط الريح، مفيش حاجه تحوشني.

يقولها «حاتم» متذكرًا الكثير من ذكرياته، لتظل سفينته تلازم خياله الآن وهو يتابع:

- بعدت عن أهلي، وسيبت الدنيا كلها واخترت البحر بمنتهى الأنانيه، ماشوفتش أمي يوم وفاتها، ماودعتش أبويا، نسيت كل حاجه قدام البدله البيضا، اللي وأنا لابسها بحس إني زي السمكه لازم أكون في الميه، ولو لبستها في البر بحس إني مخنوق وبصبر نفسي وبكدب عشان أصدق إني لسه على البحر، وفي اليوم ده نسيت إني كنت على الأرض..!

يقولها رجوعًا بالنهار إلى زمن ولّى، ومن ميناء ما بجانب سفينته الراسية حين خرج «حاتم» منها مودعًا طاقمه الذين يتوقفون له محيين إياه:

- ده فعلًا كان اليوم الأخير.



قالها وتابع ذكراه حين توجه يومها إلى سيارته الفارهة المصفوفة له خصيصًا عند رصيف الميناء، ليأخذ مفتاحها ليبدأ قيادتها بثقة متجهًا إلى بيته ليقوم بقيادتها مسرعًا ليغمض عينيه، بينما صوته يتردد في أعماقه قبل جريانه على لسانه:

- كالعاده، البدله نستني إني على الأرض.

يعلق هو متذكرًا هذا الطفل الذي يقود دراجته بمنتصف الطريق.

- وفي اللحظه دي ظهر فيها طفل على عجلته، اللحظه دي مرت عليا سنه.

قالها لهم متذكرًا تلك اللحظة المتجسدة الآن من أمامه يكاد يرمق كل تفاصيلها، ليتابع:

- شوفت في وشه عمر طويل وأمل، في نفس اللحظه حسيته إبني، كان لازم أختار بين مستقبلي وحياته.

يبتسم الطفل له في خياله، فيقول «حاتم»:

- أول مره أتخلى عن أنانيتي، والغريبه إني فضلت على نفسي حد معرفهوش، مجرد طفل حسسني لحظه بالإيثار!

تفادى «حاتم» حينها الطفل مبتسمًا، لتنقلب السيارة عدة مرات قبل أن ترسو بين الرمال، ليخسر «حاتم» في هذا الحادث قدمه ومستقبله المهني عامة والبحر خاصة.. يعود إلى حاضره الآن ليجد هذا الطفل عند المياه يبتسم إليه بجانب والديه، ليبتسم لهم هو الآخر ويكمل:

- بس أنا عارف إني اخترت صح، يمكن الطفل ده يكبر ويبقى دكتور كبير وينقذ ناس كتيره، بدل الدكاتره اللي ظلموني دول... ههههه.

يقولها متذكرًا أخطاء الكثير من الأطباء، ليبتسم «حاتم» مخفيًا دموعه قبل أن يتوجَّه إلى «فرح» بسؤاله:

- إنتي بقى مابتتكلميش ليه؟! ماتبقاش غيرك تقوليلنا إيه اللي مزعلك، ده انتي لسه صغيره!!

تهرب «فرح» من الحديث لتتدخل «هدى» قائلةً:

- «فرح» بقالها فتره مابتتكلمش.

- بس ده ملوش علاقه بالأوتيزم، ولَّا إيه يا «حلمي»؟

يقولها «حاتم» فيظهر الضيق على «حلمي مهران» قبل أن يتابع «حاتم»:

- أكيد بتتواصلوا سوا بسهوله.

بصوتٍ قوي يجيبه «حلمي مهران» قائلًا:

- أنا معنديش توحد.

يقولها «حلمي مهران» وهو يرمقها يحاول التواصل مع «فرح» دون فائدة ليعقب:

- ولا «فرح» كمان..

تتوتر «فرح» التي شعرت بأنها انكشفت، لتتساءل «هدى»:

- عرفت منين يا «حلمي» فعلًا «فرح» معندهاش أوتيزم

بالمعنى المفهوم؟ بس السكوت ده ملوش علاقه بطفولتها، دي من أعراض الزعل وزاد بعد كده بعد كذا صدمه.

يتدخل «حبيب» بخبث شديد:

- طيب ما تحكيلنا انتي يا دكتوره.

تنظر «هدى «إلى «فرح» التي تأذن لها بالحديث لتشرع:

- «فرح» اتولدت باضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه، وده مش مرض، على قد ما هو اختلاف جيني، بس للأسف أبوها مافهمش ده وسابها مع أختها الكبيرة اللي راعتها بعد ما أمها اتوفت.

بصورة واضحة تبدو «فرح» وهي ترمق «هدى» إذ تردف متابعة:

- كانت بالنسبة ليها أم مش أخت، وقدرت تقرا عن حالتها، وخليتها تتوجه للرياضه.

تشرد «فرح» فيما تتحدث به «هدى»، لتذهب إلى توثيق ما تقوله بصور ذهنية الآن ترتسم في خيالها، خاصة هذا الحائط الذي كان في غرفتها، حيث بعض أجمل صورها الجدارية مع أختها «مي» صورٍ تحفظها جيدًا عن ظهر قلب لكل مراحل نشأتهما سويًّا، بينما تابعت «هدى» مجددًا:

- عشان تلاقي «فرح» شغف ياخد من وقتها أكتر من تمن ساعات في اليوم.

مرة أخرى تعود «فرح» إلى أجمل صورها الرياضية المحببة

إلى قلبها قبل أن تصفن في هذا اليوم الأخير الذي اعتزلت فيه، بينما تتابع «هدى» حديثها:

- وفي الآخر تبقى واحده من أبطال مصر في الأولمبياد تلات بطولات ورا بعض.

وهنا يتساءل «حاتم»:

- طيب وهي دي إيه اللي مقعدها معانا هنا؟!

- للأسف الرياضه دي مرهقه للجسم ولازم الاعتزال فيها في سن صغير..

قالتها لتتذكر «فرح» يوم إصابتها هذه من إحدى صالات الألعاب، حين برزت «فرح» على المسرح الاستعراضي لهذه الألعاب تحاول القيام بحركة جريئة، لتواجه صعوبة في القيام بها عدة مرات، ليتدخل المدرب، قبل أن تصرخ «مي» لها في قلق شديد:

- يا «فرح» خلاص، جسمك مش مساعدك، بلاش مقاوحه.

يزداد غضب «فرح» لتدفع مدربها بطريقة هستيرية، فيقع الرجل مندهشًا، قبل أن تحاول تكرار تلك الحركة، فتقفز عاليًا لتقع مرة أخرى وإن كانت تلك المرة هي الأخيرة لها في هذا العالم لتبدأ الصراخ، وحالما عاد المدرب إليها غاضبًا دفعته مرة أخرى رغم إصابتها لتتابع الصياح بطريقة هستيرية، ثم برزت متألمة إلى الخارج، في حالةٍ يُرثى لها من التوجع قد أمضى كبدها الصغير ألمًا عسيرًا، لتدمع هي الآن من بينهم عند تذكر تلك الذكرى قبل أن تكمل «هدى»:



- أول ما خسرت «فرح» الحاجه اللي عاشت عشانها، رجعت تزيد عليها أعراض الاضطراب، مع زياده في أعراض التوحد..

قالتها «هدى» قبل أن تزيد من الشعر بيتًا:

- وعشان كده أختها جابتهالي عشان نبدأ العلاج، بس للأسف حالتها ساءت.

يتساءل «حبيب»:

- ويا ترى ليه «فرح» حالتها ساءت يا دكتوره؟!

- عشان أختها اتخلت عنها ومشيت.

- مشيت فين يا دكتوره؟!

بخبث يسأل «حبيب» لتجيبه متوترة:

- مش فاهمه!

يبتسم «حلمي مهران» معلقًا:

- «حبيب» يقصد إن أخت بالمواصفات دي، أكيد ماينفعش تتخلى أبدًا عن أختها، ده طبع ويغلب التطبع..!

يبتسم «حبيب» الذي شعر بالدعم للوهلة الأولى، بينما ترتعش «فرح» عند سماع ما حدث، ليكمل «حلمي مهران» تساؤله الخبيث:

- ماتجاوبيني يا دكتوره!

تتوتر «هدى» وهي تمسك برأسها:

- محدش عارف، هي هربت من مسؤوليتها واختفت.

تنفعل للتو «فرح» منزعجةً عندما تتذكر، لتقف وتبدأ الركض مبتعدة، من خلفها يقف «حبيب» في توتر حقيقي.

- «فرح».

- مش هاتعرف تلحقها، هي هاترجع...

قالتها «هدى» ليعلق «حلمي مهران»:

- ما اللي سبقوها مارجعوش.

- إنت هاتعوم على عومهم؟

مرتابًا منها يصارحها «حبيب» متدخلًا:

- أنا الصراحه لسه مش قادر أثق فيكي، بس هي ليله، نتقسم فيها مجموعتين، عشان لو حصل حاجه نعرف مين فينا الغدار.

- يعني إيه؟!

تتساءل هي، ليوضح:

- يعني أنا هاشوفلي أي حته بعيده أنام فيها، وهاخد معايا الأستاذ «حلمي» والأستاذ «حاتم»، وهانسيبكوا هنا والصباح رباح.

يقولها ثم يتبع مستدعيًا إياهم، مُحفزًا:

- هاتيجي معايا يا أستاذ «حاتم»؟

بسعادة ينظر «حاتم» إلى «حبيب» متسائلًا بسخرية:



- أكيد.. هو أنا هاخاف ولّا إيه؟!!

بقوة يقولها، ليتوتر «حبيب» قبل أن يتدخل «حلمي مهران» هو الآخر:

- وأنا كمان جاي معاكوا، إحنا حتى لسه مخلصناش كلامنا.

يقولها قبل أن يتحرك معهم ساندًا «حاتم» مبتعدين، ولمّا تأكدت «هدى» من ابتعاد «حبيب» و«حلمي مهران» و«حاتم» أخذت تنظر حولها قبل أن تبتعد غائصة في عمق الجزيرة؟!!

تصل «هدى» إلى المكان الموضوع فيه الهاتف، لتجده في مكانه فتتصل بـ «أشرف» ولكنه لم يجب، فقد كان ينزل سلم اليخت، قبل أن يتوجه إلى باب ما ليفتحه ويأخذ عدة الحفر ليسمع تكرار صوت الهاتف فيهرع عائدًا إليه، قبل أن يخطف من على اللسان الخشبي «سميحة» تنظر إليه في عتاب وفي يدها الأجندة الحمراء ليتجاهلها ويتوجه إلى الهاتف ليجيب:

- «هدى»!

- أومال هاكون مين يعني؟!

- إنت كنت فين كل ده، وفين البضاعه؟!

- عندك جثة «سيف» في نفس المكان.

تقولها ببرود مريض ليكمل هو جشعه:

- والباقي فين؟ ده مافضلش غير الليله.

- مفيش باقي، الأمور خرجت عن سيطرتي، في حد هنا

بيلعب بيا، كفايه لحد كده.

يبتسم وهو يبصر «سميحة» من بعيد:

- لأ مش كفايه يا «هدى»، إحنا متفقين إن كل واحد منا يشوف شغله... إنتي تجربي أدويتك عليهم، وأنا أصرف الجثث.

قالها كاشفًا حقيقته:

- إنت مابتنشبعش يا «أشرف»؟!

- تلميذك يا دكتور.

- بس أنا خايفه ومش عايزه أكمل.

بصدق قالتها ليرفض:

- وأنا عايز بضاعتي كلها لو عايزه ترجعي من على الجزيره دي، ومش هافكرك إن لو واحد بس خرج منهم عايش الحدوته كلها هاتنكشف، وطبعًا لما انتي تسافري، وأكيد مش هاتوفي بوعدك وتاخديني، وأنا اللي هاقع لوحدي، هي مش دي كانت تجربتك الأخيرة برضه؟!!

- أيوه يا «أشرف» أنا مش هارجع هنا تاني.

بحرقة أكدت شكوكه:

- ما أنا عارف.

ينهي «أشرف» الاتصال وهو لا يزال يبصر «سميحة» من بعيد، جالسةً مكانه في تراس الكوخ، ليظل «أشرف» يرمقها،

ثم ينظر إلى البحر ليتذكر ماضيه، خاصة تلك اللحظة الغابرة التي كسرت فيها خطيبته ظهره عندما كانا في كلية الطب سويًا:

- يا «أشرف» يعني إيه ماتحضرش الامتحان؟!!

قالتها خطيبته الشقراء حينها من أمام مبنى بالجامعة، ليجيبها «أشرف» متفاعلًا:

- مش مهم أنا أحضر، أنا مش ذاكرتلك وانتي نجحتي وجبتي امتياز كمان!!

تجيب خطيبته العشرينية:

- ما هي دي المشكله، إنت أشطر واحد في الدفعه، إزاي تسقط؟!!

- أنا مسقطتنش يا حبيبتي، أنا محضرتش، في فرق.

- لا مفيش فرق، أنا بقيت أكبر منك بدفعتين يا «أشرف».

- وأنا أعمل إيه؟! ما أنا لازم أشتغل!

- يا «أشرف» إنت دكتور عبقري، ما ينفعش تسيب نفسك كده.

- هو أنا أبويا زي أبوكي، بيصرف عليا؟....

قالها بحقد واضح استغلته هي قائلة:

- إنت هاتفضل كده الحقد والجحود ماليين قلبك، حتى لأقرب الناس ليك؟! أنا آسفه يا «أشرف» مش هاقدر أكمل.



- هاتندمي.

بغضب قالها، لتتابع هي هروبها:

- أنا ندمت فعلًا بس مش عليك، أنا ندمت على الوقت اللي قضيته معاك.

تتحرك خطيبته لتتركه قبل أن تظهر الدكتورة «هدى» خارجةً من محاضرتها التي كانت تحاضرها توًّا، لتتوجه إليه.

- مالك يا «أشرف»؟

- ولا حاجه يا دكتور.

تبتسم «هدى» وهي تخطف نظرة لخطيبته التي تحركت بعيدًا، لتبدأ بوضع شباكها.

- أنا زعلانه عليك يا «أشرف»، إنت طالب ذكي ونابغه، خساره السقوط ده كله، واحد غيرك كان زمانه عندنا في كندا بيحضر دكتوراه.

يتفاجأ «أشرف» مرددًا:

- كندا!!!

- أيوه يا «أشرف»، اللي زيك مكانه مش هنا..

- إزاي بس يا دكتوره؟! هو أنا الشغل عارف يخليني أنجح لما اتخرج؟!

- يبقى تلاقي شغل، يقدر دراستك ويساعدك تنجح...

- وهو فين الشغل ده يا دكتوره؟!



مبتسمة تعلق قائلة:

- أنا أقولك....

***



(10)

يجثم الليل على الشاطئ، مبيتًا النية على فعل بعض ما لا يليق، فإنه ليلٌ ساتر، وإن كان ستره مُخرمًا ممزقًا، وإنها ليلة قد تكون هي الأخيرة على الجزيرة العزباء، وغدت الآن أوسع ما يكون اتساعًا شاسعةً قابلةً للمزيد والمزيد حيث كان «حبيب» الآن مع «حلمي مهران» و«حاتم» يتوجهون ناحية منطقة هادئة وإن كان خيال «حبيب» قد بدأ يخونه حيث لاحظ حركة من بعيد توقعها «حلمي مهران» بالطبع قبل أن يجلس ثلاثتهم بينما بقي «حبيب» متوترًا، يرمق من بعيد «حلمي مهران» -هو الآخر- شيئًا ما، فيقول:

- أنا هاتمشى شويه وأرجعلكم.

يقولها «حلمي مهران» قبل أن يحاول «حبيب» الاستعلام عما يحيط به:

- مش هانتكلم؟

- هايحصل مش هاتأخر.

من ثَمَّ يتحرك «حلمي مهران» عدة خطوات لعمق الجزيرة، غاطسًا في عمقها، يبحث عن تلك الحركة التي رمقها في خيال «حبيب» رغم تكتمه، حتى وجدها.. «فرح» كانت تركض كعادتها قبل أن تقف متعبة، فظن أن عقله قد خدعه، إلا أنه ظل يراقبها دون أن تدري، لتبدأ هي التحدث مع خيال ما.

- أنا كنت عارفه إني هاشوفك هنا!!..

قالتها «فرح» ناطقة للمرة الأولى أمام «حلمي مهران» غير المندهش ليظل يحاول إدراك صاحبة هذا الخيال فوجدها أختها «مي» التي كان يجهل معرفة هويتها في البداية، وقد كانت واقفة كالملاك حافية القدمين، تتحرك بانسيابية في خيال «فرح» العاري أمام «حلمي مهران»:

- ما أنا مت هنا.

- عشان كده جيتلك يا «مي».

تبتسم «مي» قائلةً:

- مع إنك ماشربتيش اللي شربوه.

قالتها «مي» مشيرة إلى تلك المادة التي وقع ضحيتها كل زوار تلك الجزيرة، إلا أن «فرح» فاجأتها:

- النهارده شربت منه.

- ليه؟!!

- كنت محتاجه أشوفك، إنتي أختي، وكنتي أغلى حاجه عندي.

- مكنتش محتاجه كل ده يا «فرح» أنا علطول معاكي!

- لأ، أنا علطول لوحدي، خصوصًا بعد ما مشيتي.

- ممشيتش بكيفي.

- عشان كده أنا جيت.

تتوتر «مي» مقتربة من «فرح»:

- إنتي جيتي ليه يا «فرح»؟

- عشان آخد حقك.

يزداد هلع «مي» التي تقترب من «فرح» في خوف قبل أن تتَّجه بنظرها خلفها، بالتحديد إلى «حلمي مهران» الذي استطاعت رؤيته كما فعل فيتوتر ويتقهقر إلى الخلف هاربًا في عمق الجزيرة راكضًا، فلقد كانت «مي» مخيفة رغم براءتها، ليظل ينظر خلفه في توتر قبل أن تستوقفه «مي» من أمامه في تحدٍّ جريء!

- على فين يا «حلمي»؟!

توقف «حلمي مهران» للتو في قلق، فقد كان يعرف أن سر الجزيرة عندها منذ البداية، فقد كانت هي المحرك الأساسي لكل تلك الأحداث التي ثقلت روحها لتصبح ثقيلة رغمًا عنها، ورغم براءتها، لتحاول هي وقف النزيف قائلة:

- أنا عايزاك انت يا «حلمي».

- إنتي مين؟!

- إنت عارف، ما انت بتشوف كل حاجه.

- إنتي مي أخت «فرح».

تبتسم «مي» لتتابع:

- مش بس كده، وانت عارف.

قالتها لتكشف له جزءًا من الحقيقة، بينما من على بعد عدة

خطوات كان «حبيب» هناك عند الشاطئ في هذا الليل الأسود البهيم جالسًا بجانب «حاتم» على الشاطئ، ومن أمامهما كوبان للشاي..

- إيه رأيك بقى في المكان ده؟!

تساءل «حبيب» ليجيب «حاتم» بفلسفته المعهودة:

- مش مهم المكان، المهم البحر يا «حبيب»، آسف يا دكتور «حبيب»!

أضافها مشيرًا إلى ما يعرف، ليهرب «حبيب» متسائلًا:

- إنت لسه البحر بيندهك؟!

- ما أنا حكيتلك، السؤال بقى: إنت ليه يا دكتور مراتك مابتندهكش زيينا ليه؟!

- مش فاهم!..

- إوعى تكون فاهم يا دكتور إني غبي زي الباقي، لأ، أنا كابتن قبطان، يعني في مركبي ببقى مسؤول عن آلاف البني آدمين!!

- طيب مش غريبه إن واحد زيك يكون هنا برضه؟

- هو مش إحنا اتفقنا إن أنا هنا لسبب؟

***

تعود «هدى» إلى المخيم ليلتها هذه حيث تجد «فرح» قد عادت هناك، لدى الطاولة تشرب شايًا ساخنًا من إبريقٍ



موضوع أمامها تصبُّ منه، لتبدأ «هدى» في غرور التحدث قائلة:

- رجعتي زي ما كنت أنا متوقعه، عارفه انتي رغم لياقتك دي ضعيفه أوي يا «فرح» والدنيا دي عايزه القوي مش الضعيف؟!

تقولها «هدى» جاهلة حقيقتها وهي تصب شايًا من أمام «فرح» المبتسمة، وإن بدأ الدوار يعتريها من جديد!

***

من عمق الجزيرة كانت «مي» تكمل حديثها لـ «حلمي مهران» بعدما أفصحت عن الكثير.

- أنا عارفه إني اللي حكيتهولك إنتَ عارفه، وممكن كمان يكون صادم، بس هو مايختلفش عنك، إنتوا الاتنين بتحبوا الانتقام!!

قالتها في إشارة له، المخطط لكل تلك الأحداث المستجدة، لنذهب إليه حيث كان لا يزال يجلس عند الشاطئ الهادئ بجانب صديقه الأخير ومن أمامها مشروبان، ليقف «حاتم» يلف حوله رغم عكازه، قائلًا:

- للأسف يا دكتور بعد اللي شوفته مابقاش ينفع السكوت، عشان كده إنت عارف كويس إن في واحد مننا لازم يموت النهارده.

***



من عند المخيم تقف «هدى» فجأة من أمام «فرح» لتتحرك كالمنومة وكأنها ترى شيئًا ما، لتقترب منها محدقة ومركزةً على نظرات ذهولها!! فقد شربت مما شربوا جميعًا لتبدأ رؤياها هي الأخرى حيث تفتح عينيها، فإذا بها داخل تلك الغرفة البيضاء الخالية من كل شيء عدا الباب أمامها!!. تظل «هدى» تنظر إلى يمينها ويسارها مندهشة قبل أن تقترب من هذا الباب لتفتحه، لتجد نفسها قد عادت للماضي بملابس مختلفة حين كانت بـ «كندا» في تلك الغرفة البيضاء الخالية إلا من مكتب معدني أمامها، والجالس خلفه رجل يبدو عليه أنه أجنبي حين أشار لها لتجلس قائلًا:

- تفضلي يا «هدى» اجلسي.

برهبة اقتربت «هدى» حينها لتجلس من أمامه في قلق، فقد كان من أعلى رؤساء شركتها.

- بالطبع تتساءلين، لمَ اخترناكِ خصيصًا دون غيرك للرجوع إلى «مصر»؟

بعربية ركيكة قالها، فقد درس «آدم» العربية ليستطيع عقد صفقاته دون مترجم، فكلها صفقات سرية للغاية.

- بالطبع تعرفين الدواء الذي نقوم باختباره حاليًا، كما تعلمين أهمية نجاح هذا الدواء، بينقذ كل مرضى الاكتئاب ليستطيعوا العيش لسنوات أطول.

بمعرفة تعلق «هدى»:

- بس حضرتك عارف إن حتى لو الدوا اشتغل، الأوهام مش



هاتفارق المريض، وهايفضل يشوف أسوأ ما فيه..

بجدارة يوضح «آدم»:

- لذا واجبنا الاستمرار في تطوير الدواء.

- بس ده لو نجح أصلًا...

- بالطبع سينجح، ولكنك تعلمين صعوبة تجربة مثل تلك الأدوية هنا، والحكومة تسلمنا أعداد قليلة جدًّا للتجارب وبشروط صعبة للتنفيذ، وحتى إن أردنا التعاقد مع أي دولة نامية ستضطرنا إلى دفع المليارات للتجربة على رعاياها، كما أنهم يفرضون شروطهم أيضًا في النهاية.

تنظر «هدى» إلى «آدم» بذكاء ليبتسم، ولتعرض هي:

- واحنا طبعًا مش عايزين شروط...

***

عودة لـ «حلمي مهران» الذي يقف خارجًا أمام «مي» في هذه الساعة من الليل، ممسكًا برأسه، من هول ما اكتشف:

- والناس اللي ماتت؟!

تجيبه «مي» بحقيقتها:

- ما أنا منهم.

- والباقي؟!!

- يمكن الدوا لو اطوَّر، ناس تانيه تستفيد.

يندهش «حلمي مهران» مستفهمًا:

- يعني إنتِي موافقه؟!

- أكيد لأ، بس دلوقتي بفكر بالمنفعه.

- إنت كمان؟!

***

من عند الشاطئ الهادئ عكس ما سيحدث، يظل «حاتم» يرمق «حبيب» إذ يقول:

- أنا شوفت اللي حصل لـ «سميحة»، وصعب تقنعني إنها برضه تهيؤات.

كان يقصد ركوبها للمركب، فلم تركبه دون مساعدة بالطبع.

- «حلمي» كمان شاف معايا، بس هو مش عايز يواجهنا بالحقيقه، إحنا شوفناك معاها قبل ما تختفي، وبعدها أنا راقبتكوا كلكوا، وانت الوحيد اللي مختلف، ودلوقتي اتأكدت إن إنت اللي ورا كل الحكايه..!!

- ولو شايف كده، سكتوا ليه؟!!

تساءل «حبيب» مستغربًا شكوكه من البداية، ليعلل «حاتم» قائلًا:

- أنا معرفش «حلمي» سكت ليه! لكن أنا سكت عشان زي ما قلتلك أنا جيت هنا لسبب.

مقتربًا بصعوبة يتابع في فخر:

- إنت فكرك إني خايف؟ بالعكس، أنا كنت خايف أتعالج، وبعدين هو أنا هلاقي موته أحسن من دي فين؟!! أنا عايز أموت هنا وسط البحر زي ما اتفقنا بالظبط، ولَّا انت ناوي ترجع في كلامك يا دكتور؟!

يقولها ملمحًا إلى ما اتفقا عليه عندما كانا عند قبر في اللحظة التي مد فيها «حبيب» يده ليخرج «حاتم» الذي قص عليه الكثير، ليتفق «حبيب» على القيام بما يبتغي «حاتم» من البداية، على الموت الهادئ دون ألم!

في جرأة يمد «حبيب» يده إلى «حاتم» بالمشروب، ليرمقه «حاتم» بابتسامة استغرابٍ؛ لينظر نظرة فهم لـ «حبيب» الذي أكد له الحقيقة وأنه سيوفي بوعده، فيجلس «حاتم» ويشربه مستمتعًا..!!

***

من داخل حلمها ما زالت «هدى» أمام «آدم»، وقد صارت على طبيعتها القوية، لتتساءل بوحشية:

- بس الدوا ده لو منجحش ممكن يقتل.

- لذا نحتاج إلى أعداد كثيرة لكل تجربة.

- بس دول أهلي.

حاولت المتاجرة بأبناء وطنها، ليضحك «آدم» وهو يقف، ثم يجلس على الكرسي المقابل لها:

- نحن نعلم عنك الكثير، ونعلم كرهك لأهلك منذ تخلي

والدك عن أمك لمساعدة بلده.

يقترب بشَرَهٍ، ليتابع بقوة:

- تلك البلد التي كانت السبب في فك أسرتك وهجره لوالدتك بعدما صنعنا منه عالم كبير، لم يكن أبوكي أبدًا وفيًّا لنا، عكسك، لذا حانت ساعتك، لتصبحي أعظم منه وليتذكرك التاريخ بحروف من نور.

يسكت برهة بعدما تأكد أنها كادت توافقه، ليتابع بشرهٍ وهو يرى لمعة جشع عينيها:

- أما إن لم تهتمي بكل ذلك، فأنتِ بالطبع تعلمين مكاسب الشركة إذا نجحنا في إطلاق الدواء، إنها المليارات يا عزيزتي، وبالطبع ستكون الشركة سخية، بل سخية جدًّا معك.

تبتسم له حينها «هدى» متسائلة:

- كام؟

يبتسم «آدم» عندما تأكد من رخصها ليفصح عن الثمن:

- عشرون مليون، دولار بالطبع.

تبتلع «هدى» ريقها، إذ تَبْرُقُ عيناها:

- موافقه...

يبتسم «آدم» وهو يعود بظهره إلى الخلف مستريحًا.

- تلك التجربة لا تحتاج إلى مشاعر.

بثقة وحشية تقول:

- أنا معنديش مشاعر ولا قلب، وبعدين ماهما كده كده ميتين..!!

قالتها حينها لتعود الآن «هدى» إلى واقعها، لتتبخر ذكرياتها النجسة من أمامها بعدما فُضح المستور لتجد نفسها أمام «فرح» صامتةً بينما «جميلة» مُقابِلها مقيدةً في رهبة، لتبتسم «هدى» وهي تتناول سكينًا كانت موضوعةً على المنضدة، لتبدأ في إراقة الدماء.

***

يضع «حاتم» كوب شايه، قبل أن تبدأ تلك التهيؤات تصيبه ضاربةً رأسه حيث يبدأ بسماع تلك السارينة، فيفتر ثغره عن ابتسامة قائلًا:

- سامع يا دكتور «حبيب» اللي أنا سامعه؟!..

ظهر «حبيب» بجانبه غافلًا:

- المركب جت، المركب جت، مركب القبطان «حاتم»!!

يقولها وهو يقف في سعادة، ليتحرك بعكازه إلى مياه البحر حيث هناك ضوء ما، بدأ «حاتم» في اتباعه، خطوة تلو الأخرى بعكازه، حتى دخل المياه، خائضًا الغِمَار..!!

***

تكمل «هدى» على الشاطئ خطواتها ممسكة بالسكين متوجهةً ناحية «جميلة»، بينما تنظر إلى «فرح» بتحدٍّ يظهر مرضها النفسيّ، وقد أخذت الأخيرة تتقوقع على ذاتها!!



- ها.. يا ترى هاتيجي تنقذي «جميلة» من إيدي؟! ولّا هاتفضلي عاجزه؟!

تقولها لتستفز «فرح» التي كانت تعلم حالتها النفسية، لتتلاعب بها بشجاعة تتماشى مع شخصيتها:

- أكيد هاتفضلي عاجزه، طيب يا ترى هاتتفرجي عليًا وأنا بقتل الحلوه دي؟!

مشيرة إلى «جميلة» التي تصارع قيودها تحاول الاستغاثة بـ «فرح» التي ظل صوت دقات قلبها يتصاعد شيئًا فشيئًا، وعلامات الخوف والذُّعر تبدوان على ملامحها، حتى ملأت وجهها!!، بينما تتابع «جميلة» صراخها:

- إلحقيني يا «فرح» أبوس إيدك...

***

يقترب «حلمي مهران» من «مي» مناشدًا:

- في ناس لسه هاتموت.

- ما كلنا هانموت يا «حلمي»، إنت نفسك كنت ميت.

- ورجعت لسبب.

- الحقيقه، إنت رجعت عشان الحقيقه يا «حلمي» وأديك عرفتها.

قالتها قبل أن يشرد «حلمي مهران» في خياله متسائلًا:

- والحق.

تقترب «مي» في إيمان به قائلة:

- في إيدك انت، أنا عارفه إن انت دايمًا في قضاياك القاضي مش المحامي، احكم بالحق قبل فوات الأوان!

- أنا بلغت من بدري.

قالها مشيرًا إلى اتصاله بـ «هشام» من هاتف «هدى».

- يبقى دور المحامي هايجي.

متحفزًا:

- محامي؟!

- أيوه محامي يا «حلمي»، إنت فعلًا مش ساحر زي ما انت فاكر، ولا بتنجم، إنت مخك ده كنز، عشان هو فعلًا عقل محامي، محامي بيترافع بذكاء عن الحق والعدل، يا ريت الناس كلها زيك يا «حلمي»، أنا فخوره بيك، وأبوك كمان فخور بيك.

تقولها وهي تشير إلى «عبد المهيمن» الذي كان هناك خلفها، لينتبه «حلمي مهران» للتو في سعادة إلى والده من خلفها فيتوجه إليه سعيدًا كالمسحور، قبل أن يستدير إلى «مي» ليجدها قد اختفت فيقترب من والده، الذي يقول:

- أنا آسف يا «حلمي»، حقيقي آسف!

***

إلى لُجة البحر ظل «حاتم» يحاول السباحة بعدما انتبه



للسراب الذي كان يتجه نحوه، ولكنه أدرك لوهلةٍ عجزه، فلم يستطع السباحة، فيبدأ بالاستسلام..!! ليفتح «حبيب» عينه من تلك الغفلة الكاذبة ليجد «حاتم» يصارع الموت، فينهض مترددًا قبل أن يتجه لإنقاذه أو جثته!!..

ليصارع «حبيب» تلك الأمواج واحدة تلو الأخرى لا يعرف لمَ يفعل، بل وماذا حقًّا فعل، حتى استطاع أخيرًا الإمساك بـ «حاتم»، من داخل المياه ليخرج به إلى الشاطئ بصعوبة.

***

لدى والده يقف «حلمي مهران» مندهشًا مما يسمعه؛ حيث تابع «عبد المهيمن» اعتذاره:

- أنا عمري ما سامحت نفسي على اللي عملته فيك.

- مكنش ذنبي.

قالها «حلمي مهران» ليتابع الأب، وقد اعتصره الندم:

- الذنب كله كان ذنبي أنا.

- وجاي دلوقتي تصلحه؟!

- لأ مش دلوقتي، آخر يوم قبل شهادتي أنا جيتلك يا «حلمي» وانت فاكر.

يقولها مشيرًا إلى خلف «حلمي» الذي يرمق ذكرى له في مشهد ما يحاول تذكره، في هذا اليوم الأخير قبيل استشهاده، حين ذهب ليحتضن «حلمي مهران» في طفولته، إلا أنه كان نائمًا، فهاب أن يوقظه؛ ظنًّا منه أنه سيعود، ليدرك حينها

أهمية الوداع!!

ثم يردف مُذكرًا إياه:

يقفز «حلمي مهران» بالزمن إلى الخلف، إلى هذا النهار الأخير لوالده، حيث والده في مشهدٍ غير معتادٍ له، قلّما فعله وهو بجانب ابنه يقبل جبينه.

- أنا آسف يا «حلمي»، أوعدك لما آجي النهارده معاملتي هاتتغير، عشان انت غيرتني يا بني، حقيقي إنت أعظم حاجه حصلتلي.

قالها «عبد المهيمن» بصوت رخيم ظل حتى تلك اللحظة يتردد في خيال «حلمي مهران» على الجزيرة بصداه في عقله وهو يتابع:

- مكنتش عايز أصحيك، يمكن دي كانت غلطتي.

- يا ريتك صحتني يا ابويا، يا ريتك صحتني!!....

يقولها «حلمي مهران» الذي جثا أرضًا يبكي أباه الذي بالطبع اختفى.

***

(11)

من على الشاطئ يتأكد «حبيب» من موت «حاتم»، ليشعر بشيء من الندم بينما من خلفه ظهر «حلمي مهران» مقتربًا، فينتبه «حبيب» لقدومه ويقول مدافعًا:

- أنا ملحقتوش يا «حلمي».

- مكنش لازم توصله لهنا عشان تحاول تلحقه.

بنظرةٍ يرمق «حبيب» «حلمي مهران» الذي جثا أرضًا على الفور، إذ يقول:

- أظن جيه الوقت إننا نتكلم.

قالها فارضًا قوته على «حبيب» الذي استسلم بادئًا الحديث.

***

من عند الشاطئ المُبتلى بجرائم ليله الأثيم من حرارة الدم المُسال المسفوك على رماله اقتربت «هدى» من «جميلة» بسكينها مستمتعة بامتناع «فرح» عن الحركة، لتنظر إلى «جميلة» نظرة أخيرة:

- أبوس إيدك سيبيني أعيش.

بدموية تبتسم «هدى» وهي تقول بهدوء بارد:

- لأ.

تقولها وهي تمرر السكين على رقبة «جميلة» لتذبحها كالماعز، لتظل الأخيرة للحظات تصارع الموت من أمام عيني

«هدى» المستمتعة، فتبتسم بطريقة مرضية وتعلق:

- كان لسانك طويل أوي الصراحه.

ثم تنظر إلى يمينها حيث كانت «فرح» تبدو مصدومة من هول ما رأت، لتتابع شرها:

- معلش، أنا قتلت «جميلة»، مع إنه كان المفروض إنها تنتحر بنفسها، بس مش مهم، مش لازم كل حاجه تمشي زي ما أنا مخططالها، والصراحه مفيش وقت نعيد التجربه على فيران تانيه...

تقولها ثم تدنو بسكينها تقطر دماؤها من «فرح» المتشنجة، مستغلةً ضعفها الكاذب.

- إنتي زعلانه على «جميلة»؟ ماتزعليش، ما «أشرف» هايقطعها ويبيعها قطع غيار، أخيرًا هاتبقى مفيده، زيك كده، ماهو انتي كمان لازم تموتي، مش خساره القلب ده يعيش في مخ عطلان كده!

بسادية مريضة قالتها لتكشف سرها وهي تقترب من «فرح» مع تصاعد صوت دقات قلب المسكينة الذي يزداد شيئًا فشيئًا.

- معلش بقى منفعه برضه، بس ماتخافيش أنا استفدت منك جدًا، أصلي ماشوفتش حالات زيك كتير، رغم إن في أكتر من مجموعة جت هنا، منهم أختك على فكره، ما انتي عارفه إنها جت تتعالج عندي بعد ما جابتك!

تلتف «هدى» حول نفسها كالعروس، ثم تتابع:

- هو أنا مقلتلكيش إنها ماتت ماختفتش، وفي مكانك ده بالظبط، وبرضه «أشرف» قطعها قطع غيار، إيه بقى مش عايزه تروحيلها؟!!

تدنو «جميلة» أكثر فأكثر حتى تتوقف دقات قلب «فرح» التي تبدو وكأنها لفظت أنفاسها الأخيرة خوفًا، لتبتسم «هدى» قائلة:

- كنت متأكده إنك هاتموتي لوحدك، والله أنا بقيت عبقرية!!!

***

من عمق الجزيرة ذات البواطن السحيقة يقف «حبيب» أمام «حلمي مهران» لا يُبديان خوفًا لهذه البُقعة المُرعبة بعدما كشف كل منهما للآخر أوراقه، ليبدأ «حبيب»:

- أنا رجالتي جايه.

قالها مشيرًا إلى «أشرف» الذي كان قد اقترب باليخت، ليبتسم «حلمي مهران» معقبًا:

- وأنا كمان بلغت ورجالتي جايه.

قالها هو الآخر مشيرًا إلى «هشام» الذي كان الآن من وسط المياه الهائجة على متن يخت للداخلية يقترب من النقطة التي أشار لها «حلمي مهران» ليطرق «حبيب» أرضًا مستسلمًا:

- أنا مش مسؤول عن اللي حصل.

- لأ، إنت مسؤول، بس أنا هدافع عنك.

يندهش «حبيب» قبل أن يدنو «حلمي مهران» منه معقبًا:

- أنا زيي زيك يا «حبيب» حبيت بجد، وكمان إحنا زي بعض مابنحبش الظلم.

يبتسم للتو «ابن آوى» ليكمل «حلمي مهران» قائلًا:

- بس في ناس لازم تتحاسب.

- هنحاسب مين ولّا مين؟!

يقولها «حبيب» متفقًا مع جانب «حلمي مهران» المظلم الذي قال:

- كل واحد هيحاسب على مشاريبه

قالها ثم نظر «حلمي مهران» إلى ساعة يده:

- ما قدمكش كتير.

مشيرًا إلى ما ينبغي على «حبيب» القيام به، قالها، حيث كاد «هشام» أن يقترب من المكان الذي كان لا يزال يجهله حتى تلك اللحظة.

***

تتحرك «هدى» بفخر وكبرياء زائف من جانب «فرح» تاركة إياها خلفها ترتعد في خوفها، حال هذا الشاطئ البائس، لتتقدم بضع خطوات وهي ممسكة بسكينها قبل أن تشعر بالدوار، في اللحظة التي سمعت فيها صوت «حبيب» من خلفها:

- إنتي مجنونه!!

تلتف «هدى» لتجده قائمًا هناك على بعد خطوات قليلة، يرقب «جميلة» المذبوحة، قبل أن تتابع «هدى» سمها بقوة:

- «حبيب» جيت في وقتك، أنا كنت جايالك، تصدق إني كنت مخلياك للآخر؟

- إنتي بتعملي كل ده ليه؟!

- معرفش، فلوس يمكن، أو فضول علمي، على غرور وكبرياء شخصي، أو يمكن حب للتسلط أو متعه، وبعدين ما انتوا كده كده كنتوا ميتين، هو في حد منكوا كان عايش؟!

يُظهر «حبيب» دوارًا كاذبًا على خطواته فتقول له:

- مدروخ؟!!

تقولها قبل أن يبتسم «حبيب» وهو ينظر إلى الشاطئ، لتتساءل «هدى»:

- إيه.. شوفت مراتك؟!

يومئ «حبيب» رأسه بالإيجاب فتردف هي:

- عايز تروحلها؟!

يكرر «حبيب» إشارته بالإيجاب، لتطمئن وتلقي إليه السكين متسائلة:

- طيب مستني إيه؟ روحلها بنفسك.

بثقة ألقت إليه السكين، فقد كانت تعلم باطن كل منهم، بل وكانت تعرف نقاط ضعفهم، لذا وضعت في الجزيرة لكل منهم شيئًا ليتذكر ذكراه، فهي من وضعت دراجة الطفل وشال «منال» والدة «عاصي» كما هي من وضعت الحقنة المخدرة، فقد كانت هي مديرة هذا المكان أو هذا ما كانت تظنه.

يمسك «حبيب» السكين ويضعها على وريده وهو يرتعش، قبل أن يضحك ويتوقف:

- بس أنا ماشوفتش «مي» مراتي يا دكتوره، أصلي مكنتش باخد الدوا بتاعك.

قالها مشيرًا إلى زوجته التي كان يجهل الجميع أنها «مي» أخت «فرح» الحنونة التي كانت تتمنى الإنجاب، إلا أنها لم تستطع أبدًا الحفاظ على الأجنة داخل رحمها، حتى اضطر «حبيب» أخيرًا إلى الاختيار بينها وبين طفلها في اختيار كان الأصعب له، ولكنها كانت الأهم له بينما كان الجنين هو الأهم لها، وقد كانت تلك هي التجربة الأخيرة لها قبل استئصال الرحم، لتستسلم «مي» للاكتئاب بل وتحاول الانتحار، خاصة في هذا اليوم الذي أخذت فيه حبوبًا منومة قبل أن تملأ البانيو لتموت غرقًا، إلا أن «حبيب» بالفعل قد أنقذها حينها، ليضعها على السرير مبتلة، وها هي لا تزال ترتجف إلا أنها ظلت تعاتبه على قراره!

- إنتي إزاي تحاولي تعملي في نفسك كده؟!! ليه عايزه تحرميني منك وانتي أهم حاجه في حياتي؟!

من على سريرها تجيب ببرود:

- ما انت حرمتني من أهم حاجه في حياتي، حرمتني من الأمل، ومن غير الأمل مفيش حياه يا «حبيب»، أنا مت من ساعة ما قتلت ابننا وأخدت القرار لوحدك، دلوقتي حياتي دي قراري أنا..

- مش هاسمحلك وهاعالجك.

حاول «حبيب» مساعدة زوجته، فقد كان طبيبًا بشريًا وبالتحديد طبيب نفسي!

- للأسف مش هاتعرف تعالجني عشان انت كمان موجوع.

- لو فشلت في علاجك كدكتور نفسي، روحي لحد غيري، بس ماتسبنيش.

خاطئًا قالها، فقد استسلمت بالفعل «مي» لطبيبة أخرى وهي «هدى»، لتضطر حينها إلى الكذب بحقيقة زوجها، حيث ادعت أنه متوفى.

- للأسف يا «حبيب» إنت دايمًا بتتحرك متأخر، بلاش تتأخر تاني يا «حبيب».

- مش هاتأخر ومش هاسيبك يا «مي»، يقولها «حبيب» وهو يمسك بـ «مي» بين أحضانه، وقد بدأ النعاس يغزوها من التعب، حالما رمق هو أجندتها الحمراء الموضوعة أرضًا ليشرع بالتقاطها بيده المبللة..

يعود «حبيب» مرة أخرى إلى الشاطئ عائدًا من ذكراه، وليله



العازم عزمًا على تقطيع بدنه تمزيقًا، ومن حيث «هدى» تبدو مشدوهةً:

- هو انت جوز «مي»؟!! إزاي؟ !!دي قالتلي إنك مت.

- أومال كنتي عايزاها تقولك إن جوزها كمان طبيب نفسي؟!! ما هي دي الكدبة اللي وصلتنا ليكي، وحكاية «مي» اللي كتبتها أنا قاريتها، وعرفت إنها جت معاكي هنا.

مشيرًا إلى ما دونته «مي» في أجندتها الحمراء، قالها ليتابع متهكمًا:

- رغم إن المفروض محدش كان يعرف.. صح يا دكتوره؟!

تنتبه «هدى» إلى ضحكة «حبيب» مذهولة شبه مصدومة! قبل أن تشعر بقوة الدوار يزداد شيئًا فشيئًا، بينما يكمل هو مستمتعًا:

- إيه مدروخه! معلش أصلي أنا اللي كنت بحطلك الدوا بتاعك، وبالمناسبة شكرًا على الوصفة.

قالها مشيرًا إلى وصفة الدواء الذي كان ينوي هو استخدامه فيما بعد، بنفس مبدأ «النفعية».

- كويس إنك مكملتيش الكوبايه كلها، كنتي هاتموتي، وده واجب عليا.

تتراجع «هدى» القهقرى في توتر وذهول قبل أن تصطدم بشيء ما فتلتفت خلفًا، وتُصعق عندما تراها، إنها بالفعل «فرح» تبتسم:



- معلش أصل «فرح» كمان مكنتش بتاخد الدوا.

تظل «فرح» كما هي واقفةً، قبل أن يكمل «حبيب» وهو يمسك بهاتف «هدى» المحمول الذي كان مخبأً، فقد كانت «فرح» هي من تتواصل مع «أشرف» ليأتي ليلًا لأخذ الجثث، فهو من استلم جثة «سيف» الآن و«عاصي» من قبلها.

تُصعق «هدى» من هول ما تسمع، لتتساءل:

- إنتوا إزاي عملتوا كل ده؟! إنت مين؟!

- مش أنا قلتلك إني دكتور نفسي يا هانم؟ أنا جيت هنا عشان آخد حق «مي» مراتي اللي صدقتك، وجت معاكي هنا، عشان تخليها فار تجارب وتحرمينا منها.

تنهار «هدى» أرضًا، ليصرخ «حبيب:»

- أنا ضيعت آخر سنين عمري عليكي يا «هدى»، ولما قريت في أجندتها إنها جاتلك شكيت، لغاية ما اتأكدت من «فرح».

يقولها مُتذكرًا حاله وهو يقرأ في أجندة «مي» الحمراء من جانبها، ثم يواصل:

- وانتي ما شاء الله سمعتك ألماظ، أشهر دكتوره في مصر، ومخليه بالك أوي بالشعره، كل اللي جم هنا معندهمش حد يسأل عليهم، بس وقعة الشاطر بألف، والبركه بعد كده في اختيارك الموفق لمساعدك الشريف، يقولها وهو يشير إلى «أشرف» الذي وصل بالفعل، لتهرع «هدى» هربًا إليه فيدعوها «حبيب» دون أن يستوقفها متذكرًا لقائها لـ «أشرف» في أحد

أيام الشهر السابق داخل هذا البار الساهر ليلًا وهو جالس أمام «أشرف» الذي جاء ليعطيه الملفات، ليتساءل «حبيب» حينها:

- دي كل الملفات يا «أشرف»؟!!!

- أيوه يا دكتور «حبيب».

- لو في حاجه ناقصه أنا هاسلمكوا كلكوا.

يقولها مهددًا إياه بما صار يعرفه، ليكمل:

- إنت عارف إن روحك بقت في إيدي؟ وأنا برضه مش لوحدي، ومعايا اللي معاه نسخ تانيه، ولو سلمناك هاتاخد إعدام في جلسه واحده..

- يا باشا وليه بس؟ إحنا عايزين ناكل عيش، و«هدى» كده كده كانت هاتبطل وتغدر وتسافر فالبركه بقى فيك.

يقولها ثم يشير إلى ملفات زائري تلك الجزيرة في تلك التجربة، حيث كان يحمل ستة ملفات: «عاصي» و«حاتم» و«سيف» و«جميلة» و«فرح» و«سميحة».

- وبالملفات دي بقى يا باشا إنت تقدر تعرف عنهم كل حاجه، وتكمل بقى وتسوق انت، وأنا أبقى خدامك طالما هناكل عيش..

يوافقه «حبيب» وهو يرمق الملفات قبل أن يسأل:

- كده متبقي بقى ملف «هدى».

- آه، وفي واحد كمان اسمه «حلمي عبد المهيمن» لسه ملفه

مجهزش.

- مش مهم، المهم ملف الدكتوره «هدى».

- بس ده مش عندي يا باشا.

- خلاص يبقى ده أنا اللي هاعمله بنفسي.

يقولها وهو يفر الملفات، ليجد منها الطبي، ليتساءل:

- وإيه الملفات التانيه دي؟!

- آه، لا مؤاخذه يا باشا، دي ملفاتهم الطبيه، بس دي تلزمني أنا.

قالها «أشرف» حينها وهو يأخذ تلك الملفات للتحاليل التي كانت تطلبها الدكتورة «هدى» دون أن يعي أي منهم السبب.

- أنا مش هاعمل اللي في دماغك يا «أشرف».

- لأ اسمحلي يا دكتور، اللي أوله شرط آخره نور، والمصالح دي مش بتاعتي ولا أنا صاحب اللعبه، الحاجات دي وراها ناس كبار، صدقني إحنا مش قدهم، فخليك زي «هدى»، خد مصلحتك وجرب تجاربك، وسيبنا ناكل عيش، نبقى كلنا حبايبك، والحي أبقى من الميت، ودول كلهم كده كده ميتين.

- «المنفعه» يعني..

علق «حبيب» حينها مستسلمًا غير منتبه لوجود «عاصي» على أحد طاولات البار، مُوهمًا أنه يسكر، عله جاء عن عمد بالفعل!

***

تصل «هدى» الآن إلى «أشرف» وقد اشمأزّ الشاطئ من كمية قذارتهما، ليصدمها «أشرف» بدفعها أرضًا تحت قدمي «حبيب» الذي اقترب بهدوء، لتُذهل «هدى» وهي تنظر إلى «أشرف» لتسبه:

- بعتني بكام يا كلب؟!!

- ببلاش وحياتك والله يا دكتوره.

- ليه؟!

- بيزنس، عشان شغلي ما يوقفش، مش ده اللي علمتهولي؟ وبعدين الدكتور «حبيب» كتر خيره وعدني يكمل المشوار، وأنا تربيتك ببص للمنفعه، مش كده ولّا إيه؟!

تندهش «هدى» لترمق «حبيب» متسائلة، يكاد عقلها يزداد جنونه:

- وانت عملت كل ده ليه؟! عايز إيه؟!

لم يعرف «حبيب» الإجابة الصحيحة، ليقول:

- والله أنا كنت جاي في الأول عشان آخد حق مراتي، بس الفضول ملكني، الصراحه يا دكتوره «هدى» أحب أهنيكي على تجاريك اللي فاتت، وعلى توقعاتك في التجربه دي كمان، كانت أغلبها صح، يمكن بس «حاتم» كان محتاج جرعه زياده عن اللي كتبتيها عشان يتحرك.

قالها مشيرًا إلى الجرعة الإضافية التي وضعها في شاي

«حاتم» قبل أن يقدمه له في لحظاته الأخيرة!

- خلاص خد كل أبحاثي، والأدويه كمان، دي فيها براءة اختراع بملايين.

- ما أنا أخدتهم فعلًا، هو أنا محتاج عزومه؟!

بجنون أجابها معجزًا إياها، قال ما قال، لتسأل سؤال الفاقد العاجز:

- طيب خلاص عايز مني إيه تاني؟

- وده برضه سؤال!

يقولها «حبيب» مقتربًا بسكينها:

- عايز أقتلك هنا وأتشفى فيكي.

يقولها ثم يشير بالسكين إلى «أشرف» متابعًا:

- وبعدين أسيبك لـ «أشرف» عشان يشوف شغله ويقطعك قطع غيار.

تصرخ «هدى» باكيةً:

- لا...لا أنا مش عايزه أموت، وبعدين انت لو كنت عايز تقتلني كنت قتلتني من الأول مكنتش عملت كل ده.. صح ؟!

ببرود يجيبها في استمتاع مهين:

- لأ غلط، كان لازم تدوقي من نفس الكاس، وتحسي بنفس وجعها، لحظه بلحظه.

- لأ، ارحمني أبوس إيديك، قوليله يا «فرح»، قوليله، ده انتي الملاك اللي فينا.

تقولها مستغيثة بـ «فرح» التي تضع سماعة أذنها كعادتها لتسمع الموسيقى وهي تجلس في هدوء، وإن ظلت ترمق كوب شاي «هدى» الممتلئ فقط حتى النصف- والموضوع فيه جرعات إضافية من هذا الدواء القاتل بينما نظرت «هدى» إلى «حبيب» في خوف، جعلت تقول:

- بلاش يا «حبيب»، فكر كويس، لو بدأت مش هاتعرف تنتهي صدقني.

مبتسمًا يتقدم «حبيب» بقوةٍ، فينهال عليها غارزًا السكين في أحشائها!

- أنا عمري ما صدقتك، ولا عمري ما هابقى زيك.

لحظات تلفظ «هدى» فيها أنفاسها الأخيرة، قبل أن يتركها «حبيب» ليد «أشرف» الذي أمسك بجثتها من فوره، فيتصاعد صوت دقات قلب «فرح» وهي تمسك بإبريق المشروب لتملأ كوب «هدى» الموضوع أمامها وفي لمحة تشربه بالكامل في غفلة من «حبيب» حتى تبدأ في الهبوط شيئًا فشيئًا قبل أن يبدأ الدواء في مفعوله، تسمع صدى صوت «مي» تناديها لتنظر إلى ما بعد المخيم، ثم تبدأ «مي» بالركض هربًا مما حدث بعمق الجزيرة المُريب لتركض «فرح» حولها، لتجد نفسها فجأة في مكان ما تجهله قبل أن تستوقفها «مي» أخيرًا:

- كفايه جري يا «فرح».

مع تصاعد صوت دقات قلبها، تتوقف «فرح» مبتسمة، لتبدأ «مي» عتابها:

- وسختي إيدك ليه يا «فرح»؟ إنتي كنتي ملاك!

متهكمة تتحدث بطريقتها المتقطعة الطبيعية للمرة الأولى عائدة إلى طفولتها:

- مينفعش ملاك كان يعيش وسط شياطين يا «مي».

- واستفدتي إيه يا «فرح»؟!

- أول مره أقدر أعبر عن غضبي.

بصدق قالتها «فرح»، لتكمل «مي» تساؤلاتها:

- وارتحتي؟!

تدمع «فرح» مُلتمسةً:

- سامحيني.....

- مش مهم أنا اللي أسامحك يا «فرح».

قالتها مشيرة إلى خالقهما، لتتفهم «فرح» قائلة:

- أنا عمومًا خدت الدوا بتاعهم عشان أشوفك.

- عارفه يا «فرح».

- بس المرا دي أخدت جرعه زياده عشان أجيلك وماسبكيش.

تذهل «مي» قبل أن تختفي متبخرة من هول صدمتها، بينما تزداد «فرح» بكاءً جاثية على ركبتيها، قبل أن تنظر إلى السماء في ندم، مع تسارع دقات قلبها للحظات، لتبتسم ابتسامة رضا، فيتهافت صوت دقات قلبها مُعلنًا قرب التوقف الأبديّ!!

من على بعد عدة خطوات يلاحظ «حبيب» اختفاء «فرح»، فينظر إلى المشروب الخالي بالكامل مفزوعًا فيفهم ويسرع بالبحث عنها، يتفقدها ببصره حتى يجدها مستلقية هناك فيهرع إليها ومن بعده «أشرف»، ليصل «حبيب» إليها ليجد «فرح» جاثيةً أرضًا على ركبتيها، فيقترب منها ويضع يده ليباشر نبضها فيجده متوقفًا قبل أن يلتفت إلى «أشرف» الذي بدوره دنا ليتأكد من فراقها للحياة مبتسمةً.

- سبحان الرزاق! الحي أبقى من الميت يا دكتور.

يقولها «أشرف» مُعلقًا بلا تأثرٍ يحاول سرقة بدنها قبل أن يوقفه «حبيب» بقوة يتفهمها «أشرف».

- إلا «فرح» يا «أشرف»، إلا «فرح».

في استياء يوافقه «أشرف».

- يووه، مش مهم، المهم اللي جاي يا دكتور، مش إحنا على اتفاقنا برضه ولّا إيه؟!

ينحني «حبيب» موافقًا قبل أن يحمل «حبيب» «فرح» ويتحرك بها إلى عمق الجزيرة، ليتبعه «أشرف»، وصولًا إلى هذا القبر الذي كان ينتظر صاحبته منذ البداية، حيث نفر كل

زواره واحدًا تلو الآخر ليغلق بابه أخيرًا ضامًّا إياه إلى باطن الأرض التي تسترد حقها بعدما يسترد الخالق وديعته، فيسرع هامًّا بالمغادرة قبل انقضاض الداخلية، ليترك «حبيب» أخيرًا هذا المكان البغيض مع «أشرف» الذي حمل جثة «هدى» على كاهله، ليس حبًّا بل جشعًا، أو لعله انتقام لما تاجرت به في أحلامه، فلقد كانت أول من صنعت هذا الوحش الذي سيقوم بتقطيعها عما قريب، حيث توجه بها إلى غرفة سفلية باليخت مليئة بالثلج فغدت كأنها مشرحة، انبرى «أشرف» مُشمرًا وهو يضع جثة «هدى» إلى جانب جثة «حاتم» مبتسمًا، ليودعها جاهلًا من لا يزال يتبعه على متن هذا اليخت، فلكل أجل كتاب وكل وعد ميعاد، فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم.

(12)

من داخل هذا الكوخ الكئيب بحكاويه كانت «سميحة» هناك جالسة على الكرسي الهزاز تقرأ آخر سطر بالمذكرات، لينبعث صوت «مي» من حولها حين كتبت له رسالتها الأخيرة:

«أكيد يا «حبيب» هاتلاقي اللي تنسيك أيامي، ويمكن تلاقي فيها قلبي اللي حبك».

دمعت «سميحة» قبل أن تلاحظ اقتراب اليخت لتغلق أجندة «مي» الحمراء لتتوقف وتخرج من الكوخ متوجهة إلى الممشى متذكرة كيف أنقذها «حبيب» من شر تلك الجزيرة بعد جلستهم على الشاطئ في الليلة الأولى حين ظهر الاندهاش على «سميحة» التي سألت حينها:

- يعني هي مراتك ما انتحرتش؟!!!

- لأ.

أجابها «حبيب» بصدق حينها ليصفن سارحًا خاطره:

- طيب، كمل وقفت ليه؟

قالتها «سميحة» تستجلب حضوره تحايلًا، ليقول حينها:

- مش عارف طبيعي اللي بيحصل في الساعات القليله دي ولّا لأ!

- حقيقي.. أحداث كتيره في يوم واحد!

بهروب قالتها «سميحة» ليحدد «حبيب» مُوضحًا:

- أنا مش بتكلم على الأحداث، أنا بتكلم علينا.

يقولها وهو يمسك يدها فجأة، ليتابع:

- «سميحة» هو انتي تقدري تثقي فيا؟

ترتعش يدها داخل كف يده لتقول صدقًا:

- ما هو ده سبب تعاستي، الثقه في الناس الغلط، بس معرفش ليه في حاجه مخلياني مصدقاك وحاسه جنبك بالأمان، رغم إني معرفكش غير من ساعات!

- لأ، أعتقد إننا نعرف بعض من سنين، صدقيني مش هاتندمي.

بحب غريب قالها، لتستجيب هي له:

- حاضر، طيب وبقية قصتك مش هانكملها؟

- هاتقريها.

تتساءل «سميحة» حيرى:

- هاقراها فين؟!

- هاتعرفي قبل الشروق، هتلاقيني مستنيكي هنا.

قالها مشيرًا إلى مكان توقف اليخت.

- ليه؟

- إنتي لازم تهربي.

- أهرب من إيه؟!

- مش قلتي إنك هاتثقي فيا؟!!

ختم حديثه حينها لتصدقه وينقذها من شر تلك الجزيرة، في فجر هذا اليوم عندما انتظرها عند اليخت عندما جاء «أشرف» ليأخذ جثة «عاصي» ليودع «حبيب» حينها «سميحة» من عند اليخت لتنتقل إليه بمساعدة «أشرف» بينما من بعيد كان «حاتم» قد كشفهم، فكيف يأتي مركب إلى المكان دون أن يشم رائحة وقوده! ليحاول حينها الصراخ ليستوقف اليخت قبل أن يستوقفه «حلمي مهران» طارحًا إياه أرضًا، ليسمع «حبيب» حينها صوت الحركة ليحاول إلقاء نظرة على المكان دون أن يجدهما، فيشير إلى «أشرف» ليسرع.

تعود «سميحة» من ذاكرتها وهي تنتظر «حبيب» على اللسان الخشبي، ليرمقها «حبيب» الآن في حب ليتذكر شكه الذي ظل في خياله منذ رمق «سميحة» على الجزيرة، فلقد كان يشك أنها هي من أخذت قلب «مي» زوجته، فقد كان يشعر ناحيتها بشيء مختلف شديد الألفة، لذا عاد إلى حديثه لـ «أشرف» حينها عبر الهاتف:

- يعني هي «سميحة» اللي أخدت قلب مراتي ولَّا لأ يا «أشرف»؟!

- وهايفرق معاك في إيه يا دكتور «حبيب»؟ وبعدين هو أنا لو قلتلك إنها هي هاتصدقني؟

- لو هي هاصدقك، بس يمكن لو قلتلي مش هي....مش هاصدقك!!

كانت تلك هي إجابة «حبيب» فقد أراد تصديق ما يشعر به قلبه، أو لعله حاول تصديق كذبة ما، إنه فقط أمل كان كافيًا لأن يستكمل هو الحياة، وقد كانت تلك الفكرة مقربة إلى قلب «حلمي مهران» هو الزخر الذي تعاطف مع «حبيب» مؤيدًا تلك الحكاية، فقد كان عمه ضحية قلب منقول هو الآخر من سنوات عديدة!

أخيرًا، وبعد طول السُّهاد، انبعث الفجر مُوشكًا بإدخال نور صباح يومٍ جديد على عاتقه الكثير والكثير من الأعباء كي يزيل تراكم أفعال هذا الليل الرعديد الجبان، وقد وصل «حبيب» باليخت إلى هذا الممر الخشبي ليصفه خلف الدراجة المائية الصغيرة ثم يترجل، بينما تقترب «سميحة» هي الأخرى، ممسكة بمذكراته، ليتلاقى كلاهما، فكان أن قالت:

- أنا قريت بقية حكايتك.

- وشوفتي إيه؟

- شوفت اللي خلاني أستناك.

- هاتقدري تسامحيني؟!!

- مش عارفه، بس يمكن أقدر أعرف لو فهمت، إشمعنى أنقذتني أنا!!!

- يمكن عشان فيكي شبه منها.

- أنا مشوفتهاش، بس قريت حكايتها، هي كانت محظوظه بيك أوي.



قالتها قبل أن تسكت خائفة للحظات، ثم تتابع:

- بس أنا مش هي يا «حبيب» ليه خاطرت بكل حاجه عشاني؟

- يمكن عشان كله اتخلى عنك، زي ما أنا اتخليت عنها، أو يمكن نفسي ألاقي سبب أحس بيه إني لسه بني آدم ماعلهوش الدم، أو يمكن عشان ألاقي حاجه تحسسني بالأمل.. ممكن؟

إذ تبتسم هي مستجيبة:

- ممكن..

يقترب منها «حبيب» ملامسًا أعلى يسار صدرها، عند منطقة القلب التي بها غرز خياطة تدل على عملية نقل القلب، ويقول:

- أو يمكن في حاجه أنا وانتي مانعرفهاش قربتنا فجأة من بعض!

يبتسمان بصوتٍ ضحكٍ لطيفٍ سويًا، ليتوجها سويًا إلى اليخت الذي أخذ منه «أشرف» الجثتين ليسلم إياه إلى «حبيب» الممسك الآن بيد «سميحة» لتصعد، بينما يقوم باتصال بـ «أشرف» الذي كان عند الكوخ فابتسم عند رؤية رقم «حبيب» الذي لا يزال عند مرمى بصره:

- استناه في الكوخ، هايجيلك.

قالها «حبيب» ليندهش «أشرف» متسائلًا وهو لا يزال يرمق «حبيب» من على اليخت على بعد عشرات الأمتار ليشير له



بيده وهو يتساءل:

- هو مين؟

- هاتعرف، هاتعرف يا «أشرف».

يقولها «حبيب» وهو يغلق الهاتف قبل أن يبتسم إلى صديقه باليخت، فلقد كانوا ثلاثة على المركب ومن بينهم رابع داخل غضب أحدهم الذي ترك اليخت للتو عائمًا متجهًا إلى غايته في غضب، بينما احتضن «حبيب» «سميحة» ليقود هاربًا هذا اليخت إلى مستقبل جديد، بعدما انتقم لماضيه، ليترك باقي القصة في يدي عادل ذي بأس شديد.

حيث كان «أشرف» الآن قد عاد للكشك لم يفهم اتصال «حبيب»، ليبدأ في رص الجثث في غرفة ما في انتظار تقطيعها لا يعرف ما ينتظره، فلقد كان من على بعد خطوات قليلة عن الشاطئ صوت مخيف حيث انبعث هو خارجًا من الماء مرتديًا غطاءً للرأس.

كان بالفعل «حلمي مهران» هو من خرج من الماء ولكن بوجه غريب، إنه وجه «ابن آوى» تلك الشخصية الدفينة التي خرجت من فجٍ عميقٍ وهو يتحرك ببطءٍ ليتوقف عند باب الكوخ والفجر لم يستبن نور إشراق الصبح بعد، ليرمقه الآن للتو «أشرف» متوترًا، فلقد كان «ابن آوى» معروفًا في الشارع المصري، بطريقة قتله المختلفة التي اقتبسها من «أنوبس»، ليرمق «أشرف» للتو عباءة الرجل التي يرفرفها الهواء، ليجثو أرضًا يائسًا من الهرب، لينهي «ابن آوى» عدله في تلك البقعة التي

أرسل موقعها «حلمي مهران» إلى «هشام» الذي وصل الآن على متن يخت الداخلية ليترجل منه مسرعًا على الممشى والرجال خلفه مسرعون وصولًا إلى الكوخ..!!

وحال بلوغه الكوخ فتح الباب فألفى وسطه «أشرف» معلقًا مشنوقًا بطريقة «ابن آوى» المعهودة، بينما تلك الريشة موضوعة أرضًا، فولج «هشام» عمقه أكثر، فإذا بالجثث المتراكمة عدا جثة «عاصي» التي كانت قد بيعت بالفعل، فيقوم باتصال أخير:

- إنت فين يا «حلمي»؟

يجيبه «حلمي مهران» مبتسمًا من على الجزيرة المشؤومة التي عاد إليها ليجلس على الشاطئ بجانب الدراجة المائية التي انتقل بها:

- أنا زي ما أنا، في أجازه يا صاحبي.

يقولها ويغلق الهاتف بينما يخرج من جيبه تلك الحبوب التي أخذها من جيب «هدى» ليبتسم ويبلع واحدةً منها؛ التي قامت بمفعول المورفين المُسكن، قبل أن تظهر كاميرا مُراقبة على الجزيرة لا تزال ترصد فِعَالَهُ بعناية، ولا سيّما صنيعه الأخير هذا، ليرمقه «المراقب» الحقيقي لكل تلك التجربة من خلف شاشات كثيرة موضوعة بمكتبه تراقب الجزيرة من مكان ما.

***

من أمام مكتب «آدم» -نهارًا- يجلس «حبيب»، بينما ظل الرجل يقرأ في ملف موضوع أمامه، حتى فرغ منه ووضعه

جانبًا.

- للأسف تلك النتائج غير مرضية للشركة.

- يعني إيه، يا «آدم»، مش هاخد حاجه، ده أنا قتلت!!!

- نعم فعلت ولكن لسبب سامي، إنها النفعية يا صديقي العزيز.

- وهي فين المنفعة دي؟!!

يبتسم «آدم» وهو يقترب بجسده إلى المكتب.

- لا تزال الشركة ترى فيك الكثير من الطاقة الإيجابية فلا تهدرها.

- يعني إيه؟!!

تساءل «حبيب» الذي جاء في محاولة لكسب بعض المال، قبل أن يخرج «آدم» من مكتبه أمبولًا زجاجيًا مكتوبًا عليه رقم (9) ، ليظل «حبيب» يرمقها، يقترب شيئًا فشيئا في ترقب قبل أن يمسك بها أخيرًا.

ليبدأ «حبيب» منذ تلك اللحظة المتاجرة بنتائج «هدى» ليصبح هذا الدكتور الناجح صاحب الشهرة الواسعة بما يقدمه من نصائح وأدوية علاجية، حتى أنه أشترى عيادتها ليكمل عمله منها، ولكن كان دومًا هناك هذا المريض الساخط على علاجه:

- يا دكتور.. يا دكتور...

قالها هذا المريض الثائر للتو من داخل عيادة «حبيب» الذي يعود من شروده، ليعتذر للرجل الذي أكمل:

- لأ، ماتأخذنيش يا دكتور، إنت بقالك شهور مسمع في البلد، والناس ملهاش كلام غيرك، ونجاحاتك معاهم، وأدويتك اللي مابتخيبش، والدكتور «ماهر» لما بعتني لحضرتك، قاللي إني هاتحسن كتير، بس معلش أنا مش لاقي أي تحسن لحالتي، حاسس إن نفسيتي بقت زي الزفت، ده أنا يا راجل بفكر أعمل في نفسي حاجه من الاكتئاب والوحدة.

يظل «حبيب» شاردًا يسمع صوت «هدى» في خياله حين قالت:

«لو بدأت مش هاتعرف تنتهي صدقني»

يجيب إياها في خياله، يكاد يُسمّع نفسه صوته:

«أنا عمري ما صدقتك، ولا عمري ما هابقى زيك».

يلاحظ المريض شرود «حبيب» فيزداد استياؤه.

- يا دكتور . . .يا دكتور. . . حرام عليك، هاتفضل سايبني وسارح في إيه بس؟!!!

- هاه، معلش آسف، أنا بس كنت سرحان في العلاج.

يقولها «حبيب» غير منتبه إلى تلك الكاميرا التي تصور مكتبه ويراقبها «المراقب» من خلف شاشاته.

- وهو فين العلاج ده؟! أنا مابتحسنش. .

- هو مش حضرتك مستوحد؟!!

- أومال أنا بقول إيه من الصبح؟!

- خلاص علاجك موجود عندي، هاتتواصل مع المساعد بتاعي وهو هايرتب معاك العلاج.

- اللي هو إيه يعني؟

- جلسة علاج جماعي في منطقة معزولة عن البشر لمدة تلات أيام..

تبتعد الصورة الآن شيئًا فشيئًا ليظهر «حبيب» من داخل شاشات المراقب الذي ابتسم للتو لوقوع «حبيب» في الفخ حال «هدى» من قبله، ليظهر انعكاسه في الشاشات، فيبتسم إلى نفسه محبًا فلقد كان الدكتور «ماهر» الجراح المشهور هو هذا المراقب الذي لطالما خطط لتلك المنظومة للاستفادة من تجارة الأعضاء التي هي أصل مبدأ «النفعية» الذي لطالما آمن به، فيقوم الآن باتصال بمساعد «حبيب» الجديد عبر الهاتف قائلًا:

- أيوه يا غالي.. كده التجربه الجديده جاهزه، مش عايز غلطة ولازم «حبيب» يفهم زي اللي قبله إنه هو اللي سايق، عشان نفضل إحنا من ورا شغالين.. مفهوم؟!

يغلق الدكتور «ماهر» الهاتف ثم يقف، وعلى مكتبه تراصت بعض الملفات الطبية لـ «عاصي» الذي أخذ للتو قلبه هو الآخر لينقذ أقرب الأقربين له، يرتدي «ماهر» للتو البالطو الأبيض، ثم يغادر من هذا الباب ليخرج من غرفة المراقبة التي كانت

تراقب الجزيرة كلها، ليتوجه من هذا الباب إلى مستشفاه الصغير التي يقوم بها بكل تلك العمليات الممنوعة.

يدخل «ماهر» للتو إلى تلك الغرفة الشبيهة بالعناية المركزة، ليتجه إلى هذه المريضة المستلقية على السرير، إنها والدة «عاصي» «منال»، فتبتسم فور اقترابه.

- حمد لله على السلامه يا هانم.

- الله يسلمك يا دكتور، والله انت ما أنقذتش حياتي أنا بس، إنت أنقذت حياة تلات الاف عيله كانوا هايتشردوا من بعدي.

كانت تلك بالفعل حكاية والدة «عاصي» ومسؤولياتها التي قصها علينا الابن.

- أولًا حضرتك ست صالحه وأولى بالحياه من ناس كتير، وثانيًا أنا معملتش غير شغلي.

- طب هو مين يا دكتور اللي اتبرعلي؟!

- صدقيني مش مهم مين، اعتبريه زي ابنك.

تدمع «منال» بعطفٍ غامرٍ:

- يعني أنا مظلمتوش يا دكتور؟!

- صدقيني لأ، اللي اتبرعلك كان بيردلك حقك.

- حق إيه ده يا دكتور اللي يخلي حد يفضل حد مكانه؟!!!

يجيب «ماهر» موضحًا:

- ما هو أنا فهمتك يا فندم، إنه كان كده كده ميت.

- طب هو يا دكتور الشغل ده حلال؟

- أكيد طبعًا، ما الحي أبقى من الميت.

- يعني قانوني؟....

- هو يمشي بس بقانون المنفعة....!!

قالها «ماهر» مشيرًا إلى قانون «النفعية» الذي رغم صحته راح ضحيته الكثير ليفقد معناه، بينما ظل هذا قانون «ماهر» الذي حاول إقناع «منال» به التي لو عرفت منقذها لماتت من فورها، ليتركها «ماهر» ليتابع بقية مرضاه لتظهر بضعة أسرة بجانبها يستلقي عليها سبعة مرضى، ليبتسم «ماهر» فخورًا بعمله جاهلًا من بصره للتو، فلقد كانت تلك هي رؤيا «حلمي مهران» الآن من على متن الجزيرة بعدما ابتلع هذا القرص الذي فتح له بابًا جديدًا ظل يرمقه الآن متوعدًا وهو يرمق تلك الكاميرا التي أبصرها على الجزيرة، ففتحت له عالم «ماهر» الذي انكشف من أمامه للتو، ليتفهم «حلمي مهران» حقيقة هذا الدكتور الجراح الذي صار عدوًّا جديدًا لـ «ابن آوى» الكائن الآن بين ضلوع «حلمي مهران» على متن تلك الجزيرة التي زادت مداركه اتساعًا، ليتوعده مبتسمًا، وهو يرمق الآن كلبه على الجزيرة يعوي في خياله متلهفًا لإيقاظ «ابن آوى» الذي بات الآن مألوفًا لـ «حلمي مهران» بل ومحبوبًا له، فلقد تلاقت هويتهما على نفس الأهداف، الأمر الذي احتاج منه المكوث أكثر على تلك الجزيرة التي صارت سكنًا له، ليستوعب فيها نفسه أكثر فأكثر، وتزداد قوة «ابن آوي»

وبأسه شيئًا فشيئًا داخل أسوار تلك الجزيرة، التي تلاحم فيها «حلمي مهران» مع عالمه الخاص، لتكشف له في كل ساعة سرًا جديدًا، كـ «الوحي» المستمر دون انقطاع، لينضج وتتبلور شخصيته في تطور جديد فور رجوعه إلى عالمه وتلك قضية جديدة يتوجب عليك أن تعرفها، ولكن بشرط وحيد.

«بس المهم تفهمني»

***

«إلى الشر الكامن في الصلاح، أهدي إليك شري وصلاحي»

«بس المهم تفهمني»

حلمي مهران

أحمد عثمان

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com

